جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الدلالة
جدلية المعطيات والسياق
مفردة النيل فى الشعر العربى نموذجا

الدكتور
رمضان حسانين جاد المولى
الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد
كلية اللغة العربية بأسيوط

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على نعمائه، وله الشكر على جزيل عطائه، والصلاة والسلام على رسل الله وأنبيائه.

وبعد:

فيعد البحث الدلالى حقلا من حقول الدراسات النقدية الحديثة ؛ حيث يحتل مكانة بارزة بين مناهجه، واحتلت دراسة السياق منزلة الصدر من هذه الدراسات، وانطلاقا من هذا الزخم الذى يحيط بالمنهج، رأيت أن أدلى بدلوى فى هذا المجال، ووقع اختيارى لمفردة كثر دورانها فى الشعر العربى ، وخاصة المصرى الحديث، وهى مفردة (النيل) ؛ واختيارى لمفردة (النيل) وهى مفردة تعربت(١)، وإن لم تكن عربية الأصل ؛ لما تحمله من قيمة تاريخية ونفسية يختلف تأثيرها بين مبدع وآخر عبر السياقات النصية المختلفة ، وتفضيلى لدراستها فى الجملة الشعرية ؛ انطلاقا من طبيعة لغة الشعر؛ بوصفها بنية مختزلة مراوغة تجمع إلى موهبة المبدع ثقافته

---

(١) وأما نيل مصر فقال حمزة هو تعريب نيلوس من الرومية ، وقد حفر الحجاج بن يوسف خليجا كبيرا على الفرات سماه النيل محاكاة لنيل مصر، ويذكر أن الحجاج بن يوسف بنى عليها مدينة النيل التي بأرض بابل ، والنيل أيضا نهر من أنهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نيل الرقة معجم البلدان – ياقوت الحموي ، دار الفكر – بيروت ،ج٥ ص٣٣٤ باب النون والياء ، ج٣ باب الصاد والراء ص٤٠٠.

ومهاراته التعبيرية، وتنهل من معرفته لتؤدي دورها الـدلالى وفـق السياقات التعبيرية المختلفة .

والدراسة التى نحن بصددها ، لا تنظر إلى مفردة النيل ، مـن حيث هى لفظ فى تركيب ، بل من حيث هى لفظ قابل للعطاء الـدلالى فى سياقات تعبيرية مختلفة، فدلالة اللفظ يتوقف على وعى المبـدع الذى يستخدمه بما يحمله من طاقات دلالية ، يوجهها وفـق سـياق الدلالة المرادة ، فاللفظ وحدة تعبيرية قابلة للاستنطاق داخل التركيب النصى وفق مرادات المبدع، فلا تخلو أى كلمة من دلالـة معجميـة أساسية غالبا ماتكون فضفاضة ؛ لكنها تستقل بدلالتها حال تركبهـا فى جملة أو عبارة دالة ، ويتحقق هذا المعنى مـن خـلال الصـلات الدلالية بين مكونات الجملة ، و« لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلولها فقط ، وإنما تحتوي على كل المعاني التي قد تكتسبها ضمن السـياق التعبيرى. وذلك لأن الكلمات ، في الواقع ، لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها في السياق الذي ترد فيه ، وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها » (١).

إن القضية من وجهة نظرنا ؛ ليست قضية معنى مفـردة فـي تركيب ، بل المقصد وعى المبدع بقيمة المفردة ، وقدرته على تفجير الدلالات من داخلها ، بما تحمله المفردة مـن إرث ثقـافى ، وزخـم تعبيرى اكتسبته فى مسيرتها التاريخية عبر العديـد مـن التراكيـب والاستخدمات التعبيرية ، وتعد دراسة المفردة من خـلال تراكيبهـا

---

(١) المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية ، ميشال زكريا ، (بحث) الفكر العربي المعاصر ، آذار ، ١٩٨٢ م ص١٦.

الكاشف عن تنوع دلالاتها وفق سياقاتها التعبيرية ، فقيمة المفردات في وظائفها الدلالية(١)٠

وتطمح الدراسة إلى الكشف عن السياقات التعبيريـــة ، والقـــيم الدلالية التى حملتها المفردة عبر مسيرة الشعر العربى ؛ من خـــلال الصور والأقيسة المتنوعة في دواوين الشعر العربى ..

وقد اشتملت الدراسة على مدخل نظرى تحدثت فيه عن جدليـــة الدلالة بين المفهوم والسياق ، وجاءت فى ثلاثة مباحث

المبحث الأول: البعد التراثى للدلالة فى الفكرين العربى الإسلامى

وتناولت فيه ، **أولا** : مفهوم الدلالة فى القرآن

ثانيا : مفهوم الدلالة فى المعاجم العربية

ثالثا : الدلالة بين الاصطلاح والمفهوم فى الفكر العربى أما المبحث الثانى ، فجاء حول : الدلالة عند المحدثين

وتناولت فيه **أولا** : مفهوم الدلالة فى اصطلاح المحدثين

ثانيا : المعطيات الدلالية المعجمية والاشتقاقية ، و التاريخية والاجتماعية والنفسية ...الخ

أما المبحث الثالث ، فناقشت فيه : جدلية المعطيات والسياق

ثم كان الفصل الثانى : التطبيق حول (مفردة النيل فى الشـــعر العربى) نموذجا ، تناولت التطور الدلالى للمفردة فى مسيرة الشـــعر العربى كله عرضا وتعليقا ، وجاء فى تمهيد وأربعة مباحث ، بدأتـــه بتوطئة تمهيدية حول : القيمة الدلالية للمفردة

---

(١) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيـــدي، الـــدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٤ ص ٧٣.

ثم كان : المبحث الأول (المفردة وسياق التركيب فـــى الشـــعر العربى القديم) من العصر الجاهلى إلى نهاية العباسى

أما : المبحث الثانى : فناقش : تطور سياق المفردة فى الشـــعر المصرى فى العصر الوسيط ، وصنفت السياق التعبيرى للمفردة ٠

أولا : بين الصنعة والعفوية ، ثانيا : الروح المصرية

أما : المبحث الثالث ، فتناول (ســـياق المفـــردة فـــى الشـــعر المصرى الحديث) والزخم التعبيرى والتطور الدلالى لها فى ســـياق النصوص المختلفة٠

ثم كان تتمة المباحث المبحث الرابع : وقمت فيه بتحليل لوحات فنية لشعراء كان النيل مفردة وموضوعا عمود تصويرها الفنى.

وبعد فهذه خلاصة موجزة تعرض طريقة الباحث في التعامل مع دلالات هذه المفردة في الشعر العربى ، والصورة النهائية التى خرج عليها هذا البحث ، فإن كانت مرضية ؛ فمن الله السداد ، وإن كانـــت قاصرة ، فيكفينى شرف المحاولة .

الفصل الأول
(مدخل نظرى)
الدلالة
المفهوم والمعطيات
المبحث الأول
البعد التراثى للدلالة فى الفكرين العربى الإسلامى

علم الدلالة ؛ وإن بدا علما حديث النشأة ، إلا أن الاهتمام باللغة عموما وبالدلالة خصوصا بدأ ؛ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوى، بل قدمت الأمم القديمة دراسات اهتمت بلغاتهم ودلالاتها ؛ والعرب ليسوا بدعا بين الأمم؛ فإننا قد وجدنا فى ميادين الفكر العربى من الدراسات والبحوث التي تعد من صميم البحث الدلالي ، بل إنهم عرفوا هذا اللفظ ، وعرفوه بوصفه مصطلحا عند المناطقة والفلاسفة والأصوليين وعلماء العقيدة وأهل اللغة وأرباب البيان والبلاغة؛ (فالأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها مدينة "للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان.) (١)؛ غير أن كل أصحاب فن انطلقوا فى اصطلاحهم من منطلق يخدم تخصصاتهم ويتفق مع توجههم الفكرى والعلمى . وسنحاول أن نلقى أضواء فى الصفحات التالية عن الدلالة ومفهومها فى الفكر العربى والإسلامى.

---

(١) علم الدلالة عند العرب ، عادل الفاخوري ، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥. ص٥..

أولا : مفهوم الدلالة فى القرآن:

وردت مادة "دلّ" ومشتقاتها فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع، منها ؛ ما تمحض للإرشاد مثل قوله تعالى من سورة الفرقان: "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ".(١) فلولا الشمس ما عرف الظل ، ومنها ما ورد فى سورة سبأ: " فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين".(٢) كلها تصب فى معنى الإرشاد والتوجيه ، وقد يحملها السياق دلالة إضافية ؛ كما جاء فيما أخبر به القرآن عن غواية الشيطان لآدم وزوجه ؛ قوله تعالى فى سورة "طه" : " قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى"(٣) فهذا السياق التشويقى الذى عبرت به الآية هو كاشف للإغراء والإغواء اللذان اصطنعهما إبليس للوصول إلى ما يهدف إليه . وقد تحمل فى دلالتها العرض والتشويق كما وردت على لسان أخت موسى عليه السلام فى موضعين قوله تعالى: " وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون"(٤) ، و قوله تعالى على: " إذ تمشي أختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن." (٥)، ومن ذلك قوله تعالى " هل أدلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم "(٦). وقد يحمل السياق التهكم المبطن بالاستهزاء و التكذيب ؛ كما ورد فى سياق قوله تعالى :

---

(١) سورة الفرقان:آية٤٥.
(٢) سورة سبأ: آية ١٤ .
(٣) سورة "طه" آية١٢٠ .
(٤) سورة القصص: الآية ١٢.
(٥) سورة طه: الآية ٤٠ .
(٦) سورة الصف: الآية ١٠.

"وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد" (١).

ثانيا : مفهوم الدلالة فى المعاجم العربية :

لا نستطيع بحال أن نغفل الوضع اللغوى، فهو يكشف تاريخ التطور الدلالى للمفردة، ويلقى بأضوائه على خريطة استعمالها، "فالحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي(٢)" وانطلاقا من ذلك نبحث عن لفظ (الدلالة) فى وضعها المعجمى .

الدلالة فى اللغةً: دَلَّ فلان إذا هَدى ودَلَّ إذا افتخر والدَّلّة المِنّة قال ابن الأَعرابي دَلَّ يَدِلُّ إذا هَدى ودَلَّ يَدِلُّ إذا مَنَّ بعطائه والأَدَلُّ المَنَّان بعَمَله ، والاسم الدَّلالة والدِّلالة والدِّلالة ما جعلته للدَّليل أَو الدَّلاَّل وقال ابن دريد الدَّلالة بالفتح حِرْفة الدَّلاَّل ودَليلٌ بَيِّن الدِّلالة بالكسر ، والدليل ما يستدل به، والدليل الدال ، وفي حديث علي- رضي الله عنه- في صفة الصحابة: "ويخرجون من عنده أدلة" وهو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس يعني: يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة، مبالغة." (٣) ، ودله على الطريق يدله دلالة (بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) والفتح أعلى ، وحكى الزبيدي تثليثها، ونقل عن الصاغاني ؛ الاقتصار على الفتح والكسر

---

(١) سورة سبأ: آية ٧ .

(٢) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر بيوت، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ص٤١.

(٣) انظر، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، مادة (دلل) ج١١ ص ٢٤٧.

ورجح الفتح ، وقصره ابن سيدة على الكسر(١)، وحكى سلمة عن الفراء، الدَّلّ: المِنَّةُ، والدَّلّةُ الإدْلال. ونقل ابن السكيت عن الفراء: دليلٌ من الدّلالة والدلالة بالكسر والفتح. وقال أبو عبيد: الدِّلِّيلي من الدلالة.وقال شمر: دَلَلْتُ بهذا الطريق دلالةً، أي عرفته، ودللت به أدلّ دلالة، وقال أبو زيد: أدللتُ بالطريق إدلالا. (٢) ، وفى القاموس : "... والدالة ما تدل به على حميمك ، ودله عليه دلالة (ويثلثه) ودلولة فاندل: سدده إليه (..) وقد دلت تدل والدال كالهدي) (٣) ومن المجاز الدال على الخير كفاعله # ودله على الصراط المستقيم # ولي على هذا دلائل # وتناصرت أدلة العقل وأدلة السمع # واستدل به عليه # وأقبلوا هدى الله ودليلاه (٤) ، وهكذا رأينا أن فلك المادة الذى تدور فيه هو الإرشاد إلى الشئ والتعريف به والهداية إليه ، فدله على الشيء وإليه أرشده وهداه.

ثالثا : الدلالة بين الاصطلاح والمفهوم فى الفكر العربىً :

وفق التطور الطبيعى للغة ؛ أضيفت إلى الدلالة الحسية للفظة الدلالة (الإرشاد إلى الطريق ونحوه) ؛ الدلالة العقلية المجردة ؛ وهى دلالة اللفظ على معناه .

---

(١) تاج العروس في شرح القاموس ، الزبيدي، أبو الفيض محمد بن المرتضى (ت ١٢٠٥ ه) ط ، دار ليبيا، ١٩٦٦ م، مادة (د ل ل)..

(٢) تهذيب اللغة ، الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى تحقيق : محمد عوض مرعب ، ج٤ ص ٤٣٧ ، مادة (د ل ل).

(٣) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج٣، ص٣٨٨.

(٤) أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر: دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، ج١، ص١٩٢.

فالمناطقة ؛ أقدم من تناولوا الدلالة بوصفها مصطلحا علميا ولقد عُرِّفت الدلالة عند المناطقة بتعريفات كثيرة منها: "هى كون الشئ بحالة ، يلزم من العلم به ، العلم بشئ آخر، والشئ الأول هو الدال، والثانى المدلول" (١) وأراه قريبا من التعريفات الحديثة ، فتعبيره بالشىء يدخل كل مرموز دال (لغوى وإشارى ،....) هذا معنى عام لكل رمز ، والحالة التى عليها الرمز كاللون فى إشارة المرور لكل حالة دلالتها ، فلو طبقنا هذا على المرموز اللغوى ، نستطيع القول بأن كل حالة تركيبية للفظ داخل عبارة دالة على معنى تبرزه الحالة .

وتعريف الجرجانى منطلق من فكر الأصوليين ، لأن الدلالة عندهم وضعية أو طبيعية أو عقلية ((لأن دلالة اللفظ إذا لم تكن مستندة إلى وضع ، ولا إلى طبع لا يلزم من ذلك أن تكون مستندة إلى العقل، لكننا استقرأنا فلم نجد غير هذه (الأقسام الثلاثة))(٢).

والدلالة اللفظية عندهم، هى (دلالة اللفظ على تمام معناه ، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه ، وإما أن يساق ليدل على معنى خارج عن معناه(٣) ، ولكل هذه الدلالات تعريفات وتقسيمات يعرفها أهل الفن وتنظر فى كتبهم(٤) ، الدلالة عند الأصوليين ، باب واسع

---

(١) كتاب التعريفات /على بن محمد الشريف الجرجانى /مكتبة لبنان / بيروت ، طبعة ١٩٨٥، ص ١٠٩

(٢) تحرير القواعد المنطقية ، محمود بن محمد الرازي ، (ت ٧٧٦ هـ) ، ط ١، المسينة ، مصر،١٣٠٧ هـ.والنص المستشهد به من حاشية على الكتاب المذكور للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، (ت ٨١٦ هـ)، ص٢٠ .

(٣) كتاب التعريفات /مصدر سابق ، ص ١١٠

(٤) راجع التعريفات للجرجانى/مصدر سابق ، تحرير القواعد المنطقية للرازي ، مصدر سابق ، حاشية على التذهيب في شرح

حظى بالعديد من الكتابات والاجتهادات التى يعرفها أهل الفن وذلك لأن استنباط الأحكام الفقهية من النصوص الشرعية يتوقف على معرفة الفقيه لدلالة الألفاظ على معانيها ، وهم لم يقفوا عند تعريف الدلالة وتقسيماتها فحسب ؛ بل اتجهوا إلى النص لتحقيق معنى الدلالة الكلى داخله ، وأقدم ما وصلنا مكتوباً في علم أصول الفقه هو كتاب "الرسالة" للشافعي (١) ،يقول ابن حنبل (٢١٤ هـ ـ ٢٨٥هـ)،: "لم نكن نعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي"، كما "يجمع مؤرخو "علم الأصول" على أن أول محاولة لوضع مباحث الأصول كعلم نجدها عند الشافعي، وأنه لم يكن قبل هذا العهد ثمة محاولات لوضع منهج أصولي عام يحدد للفقيه الطرائق التي يجب أن يسلكها في استنباط الأحكام" (٢) ولأهمية مباحث الدلالة اللفظية عند الأصوليين؛ فقد استهّلت جلّ المصنفات الأصولية بمباحث عن الدلالة(٣)٠

التهذيب، الشيخ محمد بن علي سعيد ، ط ، الأزهرية ، مصر، ١٣٤٦هـ. وغيرها

(١) الرسالة ـ الشافعى ، ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد، بدون تاريخ الطبعة.

(٢) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، سامى على النشار ، دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٨٠

(٣) مثل ، الرسالة ـ الشافعى ، ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد، بدون تاريخ الطبعة.

المعتمد فى أصول الفقه، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ)،ط، دار الكتب العلمية، بيرو ت ، اللمع في أصول الفقه، ط ١، الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ ، البحر المحيط فى أصول الفقه ،الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (ت ٧٩٤ هـ) ، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م ... وغيرها٠

ولم يكن الفلاسفة بمعزل عن القضية ، فقد كانت لهم مساهماتهم حول الدلالة نذكر على سبيل المثال (الفارابى) وقد قدم دراسة لأجناس الكلمة الثلاث، وناقش دلالة المفردة، وانتقل إلى تقنين العبارة، والبحث فى حالتى تركبها وإفرادها يقول : "الألفاظ الدالة منها مفردة تدل على معان مفردة ، ومنها مركبة تدل على معان مفردة ، ومنها مركبة تدل على معان مركبة....والألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس : اسم و كلمة(فعل) وأداة(حرف) ، و هذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى مفرد" (١)٠

أما فى حقل اللغة

فقد كان الخليل بن احمد ؛ هو الرائد للبحث الدلالي حين قدم معجمه فى صورته الإحصائية تجلت فيها عبقريته بما حملته من أصالة وابتكار حين بحث الدلالة انطلاقا من تقليب الحرف في تركيب الجذر البنيوي ، وتقسيمه للدلالة من خلال ألفاظ مستعملة ، وأخرى مهملة ، ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة. والمهمل دون استعمال.. (٢) ، كما أفاد من ذلك كثيراً سيبويه (ت:١٨٠ هـ) فى كتابه ؛ فمن يستقرى الكتاب فى ضوء الدلالة يعلم أن التقعيد للنحو العربى لم يكن بمعزل عنها ، فهذه اللطائف التي أوردها سيبويه فى كتابه ، تكشف لنا عن عمق إدراكه لمقتضيات الدلالة وعلاقتها بخصائص الكلام عند العرب عند اختلاف الأحوال والمقامات ؛ يقول فى (هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل

---

(١)شرح كتاب أبي نصر الفارابي الموسوم بالألفاظ المستعملة في المنطق / شرح / لطفي خيرالله /ص٢ ، وما بعدها

(٢) كتاب العين / الخليل بن احمد الفراهيدى ، تحقيق مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى ، وزارة الثقافة والاعلام / بغداد.

إظهاره فى غير الأمر والنهى لو (رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس ، فقلت : القرطاس والله ، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس : قلت : القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس ، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال، وأنت منهم بعيد فكبّروا لقلت: الهلال وربّ الكعبة أي أبصروا الهلال)(١) ، فيربط بين التعبير والحالة المصاحبة من خلال النظر فى الأساليب التعبيرية ، ويوجه إلى دور السياق فى الدلالة ، كذلك ؛ انظر مثلا إلى قوله : ".... إذا قلت عبد الله منطلق تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: كان زيد حليماً ، وكان حليماً زيد، لا عليك أقدمت أو أخرت ، إلا أنه على ما وصفتُ لك في قولك ضرب زيداً عبد الله. فإذا قلتَ: كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك ، فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت كان حليماً فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة ، فهو مبدوء به في الفعل ، وإنْ كان مؤخراً في اللفظ. فإن قلت: كان حليم أو رجل ، فقد بدأت بنكرة ، ولا يستقيم أن تخبر المخاطَب عن المنكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة"(٢). جاء هذا فى معرض قوله (واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة فالذي تشغل به كان المعرفة) فمقتضيات الدلالة الانطلاق من فهم المخاطب ، فالابتداء يكون بما هو معروف ، حتى لانخبر عن مجهول فتقع الدلالة بعيدا عن مقصد المتكلم ؛ مما يحدث لونا من التعمية فى فهم المخاطب ، وتسقط الدلالة التى قصدنا إيصالها للمخاطب ، وبالتالي لا تتم الفائدة ، وعدم استقامة إخبار المخاطب عن المنكور، لأن ذلك ينزله منزلة المتكلم في المعرفة بالحكم ؛ وهذا غير حقيقى ؛ لانتفاء

---

(١) الكتاب لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،لطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص٢٥٥.

(٢) الكتاب لسيبويه ، المصدر السابق ص٤٥.

الوضوح المبين للحكم ، وسقوط الدلالة الموصلة للحكم على نحو ما يريده المتكلم . وقد عول النحو العربي منذ نشأته الأولى على علامات الإعراب بوصفها دليل المعنى (١)، ومعانى الحروف ، والسياق الذى يقضى بإنابة بعضها عن بعض ، وقد سارعلماء النحو على الدرب مهتمين بالدلالة ومعولين عليها ، دليلنا على ذلك تلك النماذج والأمثلة التي امتلأت بها مصادر النحو العربي ومراجعه ، قال ابن يعيش (والاسم إذا كان وحده من غير ضميمة إليه لم يستحق الإعراب ، لأن الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعاني ، فاذا كان وحده كان كصوت تصوّت به ، فان ركّبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة نحو قولك: زيد منطلق،وقام بكر فحينئذ يستحق الإعراب)(٢)، فالإعراب فرع المعنى ، وتظهر أهمية الإعراب في الإبانة عن المعاني ، فهذا ابن فارس يقول في كتابه الصاحبي في فقه اللغة (من العلوم الجليلة التي حظيت بها العرب الإعراب ، الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز الفاعل عن المفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا نعت من تأكيد) (٣)، واهتم ابن جني في كتابه الخصائص بالإعراب بوصفه علامة دالة على المعنى ، فعقد بابا في كتابه "الخصائص" أسماه باب القول على الإعراب يقول : (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى إنك إذا سمعت أكرم سعيد

---

(١) العلامة في النحو العربي : د. محمود سليمان ياقوت ،ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩م ص ٩.

(٢) شرح المفصل : ابن يعيش النحوي ، يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ) عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي (د.ت) ج١ص٤٩.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ،١٩١٠م ، ص٤٢.

أباه وشكر سعيدا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام سِرْجاً واحداً لاُستبهم أحدهما من صاحبه)(١)، فإذا انتقلنا من النحو إلى علم اللغة العام ، متنا وصوتا وصياغة ، فسنكتشف أن الدلالة كانت محور العديد من هذه الدراسات، فقد اهتم ابن جني بالدلالة الاشتقاقية فجعل لها بابا في كتابه "الخصائص" أسماه الاشتقاق الأكبر الذي عرفه بقوله: (فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد) (٢)، فربط بين الدلالة والاشتقاق ، ولوازم الصياغة الصرفية. وطرح فكرة التوالد الجذرى ، وكيف أن جذور الكلمات تفرغ حمولاتها الدلالية فى مشتقاتها ، كما نظر إلى الدلالة ، وعلاقتها بالصوت ، فربط بين الدلالة والصوت ، وبين صفات حروفها ومعناها ، كما تلمس الدلالة الجامعة لكثير من الألفاظ ، كما لاحظ الدلالة الإشارية للألفاظ ، وانتهى إلى القول بمناسبة الألفاظ للمعانى ، وقال عنه : إنه موضع شريف لطيف ، وقد نبّه عليه الخليل« فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب ...

---

(١) الخصائص : ابن جني ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق:محمد علي النجار ، عالم الكتب بيروت ــ ج١ص٣٦.

(٢) الخصائص : ابن جني ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق:محمد علي النجار ، مصورة دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠م ج١ ص٦٥..

والقضم لأكل اليابس» (١) . وهو فى كل ماتقدم ، لم يكتف بالتنظير ؛ بل قدم أفكاره فى إطار تطبيقى يعززه بأمثلة متعددة ، وقد نختلف مع أفكاره أو نتفق ، أو نأخذ بعضها ونرد بعضا ، لكن هذا ليس مجال مناقشة أرائه وأفكاره ، وإنما أشرنا إليها لأنها تكشف عن وعى الفكر العربى بقضية الدلالة ، وقدرتهم على التحليل والاستنباط فى هذا المجال ، وإذا كان ابن جنى قد فتح أفقا رحبا ، وترك رصيدا معرفيا ضخما فى تراثنا ؛ فإن ابن فارس قد استفاد من كل ذلك الرصيد الذى عنى بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني في أكثر من وجه ، ففى معجمه مقاييس اللغة ؛ يستوحي الوجوه المشتركه للجذر اللغوى الواحد ، ويعقد الصلة بين وضعية الجذر ودلالة التفريعات ، وما بها من قواسم دلالية مشتركة ، وهومنهج وضعه وارتضاه، وصرح به فى مقدمة كتابه (وَقَدْ صَدَّرْنَا كُلَّ فَصْلٍ بِأَصْلِهِ الَّذِي يَتَفَرَّعُ مِنْهُ مَسَائِلُهُ، حَتَّى تَكُونَ الْجُمْلَةُ الْمُوجَزَةُ شَامِلَةً لِلتَّفْصِيلِ، وَيَكُونَ الْمُجِيبُ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ مُجِيبًا عَنِ الْبَابِ الْمَبْسُوطِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَقْرَبِهِ.) (٢) ، وفى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة) ، يبحث عن سر تنوع الدلالات والفروق الدلالية لما اصطلح على تسميته بالمترادف وينتهى إلى أن كل مسمى يحمل دلالة مختلفة وإن ارتبطت التسمية بشىء واحد ، لكن تعدد هيئاته وحالاته أوجدت تعدد الإطلاقات المناسبة والمصاحبة لتلك الحالات والهيئات ، فهى إن بدت لغير المدرك لفروق الدلالة مترادفة فهى عنده دلالات مختلفة لهيئات مختلفة ، ويعتمد على التطبيق وضرب الأمثلة من الواقع اللغوى لتوضيحه وجهته ، وبيان رؤيته فى باب (أجناس الكلام في الاتفاق

---

(١) الخصائص : ابن جني ابو الفتح عثمان بن جني ــ مصدر سابق ــ ج٢ ص١٥٢..

(٢)مقدمة معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

والافتراق) (١)، ولسنا الآن فى قبول أو مناقشة رؤاه ولكن بصدد رصدها والإشارة إليها ، بوصفها جهود عربية فى علم الدلالة.

أما عند أهل البيان

فتمثل الدلالة عندهم رأس البيان ، وكانت قضية (اللفظ والمعنى) التى شغلت العقلية النقدية العربية منذ فجر النقد محورها الرئيس هو الدلالة ، وكان الجاحظ فى طليعة أئمة البيان الذين شغلتهم قضية الدلالة ، فمقولته :((والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء...)) (٢)إنما تقع فى صميم قضية الدلالة ، ف(المعانى مطروحة فى الطريق) بمعنى الدلالات الأولية متحققة فى الأذهان يستوى فيها كل أهل الإدراك ، أما الدلالة التى يقتضيها السياق فهى التى يتفاوت الناس فى صياغتها ، وتتحدد وفق المقام والحال والموضوع والمخاطب ، وعلى المتحدث أن يراعى كل هذه السياقات فى تعبيره ، فإذا تكلم المتكلم ، يتخير من الألفاظ ما تتناسب دلالاتها فى سبك عبارته مع المتلقين لخطابه ، وما تتوافق وطبيعة موضوعه ، واضعا فى الحسبان ظرفها الزمانى والمكانى ، وهو ماعبر عنه البلاغيون بمطابقة الكلام لمناسبة المقام ، يقول بشر بن المعتمر فى صحيفته ، فيما ينقله الجاحظ عنه : (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل

---

(١) يراجع صفحات (٨٨ــ٩٨) ، (١٩٣ ــ ٢٠١) من كتاب ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، مصدر سابق .

(٢)الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الناشر دار الجيل ، لبنان/ بيروت. ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ج ٣ص ١٣١.

طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام علـــى أقـــدار المعـــاني ، ويقسم المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقـــدار تلك الحالات)(١)؛ وذلك لأن "مدار الأمر والغاية التى إليهـــا يجـــرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شـــيء بلغـــت الإفهـــام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضـــع"(٢) تلـــك إشارة من إشارات حفل بها كتابه البيان والتبيـــين ، تنوعـــت فيهـــا إشاراته إلى الدلالـــة ، مـــابين الملفـــوظ والمكتـــوب ، والمقـــروء والمسموع ، والعدد والإيماء والإشارة ، (وجميع أصـــناف الـــدلالات على المعانى من لفظ وغيرلفظ ، خمسة أشـــياء لاتـــنقص ولا تزيـــد :أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نصبة) (٣) وهكذا حصر أنماط الإشارات فى خمس ، ثم يمضى إلـــى بيان تفاصيلها : (قد قلنا في الدلالة بـــاللفظ فأمـــا الاشـــارة فباليـــد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصـــان وبـــالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاخرا رادعـــا ويكون وعيدا وتحذيرا) (٤) ويصر على دلالـــة الإشـــارة فيكـــرر العبارة أو قريبا منها فى الحيوان " فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها: رفع الحواجب وكسر الأجفان ولَيّ الشفاه وتحريك الأعنـــاق وقـــبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوي بثوب على مقطع جبـــل تـــراه عـــين الناظر"(٥). بل جعل الدلالة فى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشـــيرة

---

(١) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخـــانجى بمصـــر. ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م ج ١، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢)البيان والتبيين ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ج ١ص ٧٦.

(٣) البيان والتبيين ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ج ١ص ٧٦.

(٤) البيان والتبيين ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ج ١ص ٧٧.

(٥) الحيوان ، الجاحظ ، مصدر السابق ، ج ١ص ٤٨.

بغير اليد التى سماها نصبة (فالدَّلالة التي في المَوات الجامد كالدّلالة التي في الحيوان الناطق فالصَّامتُ ناطق من جهة الدّلالة والعَجْماء مُعْرِبةٌ من جهة البُرهان)(١).

أما عبد القاهر الجرجاني (ت. ٤٧١ هـ) فقد خطا خطوات أبعد حين ربط بين الدلالة والسياق ، فـ(ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل)(٢). فدلالة النظم هو دلالة تركيب لا دلالة إفراد ؛ فلا يتصور أن يكون للفظ دلالة حادة قاطعة وهو في صورته العارية عن النظم ، ويؤكد رؤيته قوله فـ(لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك...وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعمد إلى اسمين، فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له أو بدلاً منه و...بان بذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ولا نظم) (٣). فالدلالة المرجوة من النظم عند عبد القاهر تأتى من الارتباط القائم على التناسب والانسجام كالتأليف والتركيب، والترتيب، والنظم، والنظام،

---

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، المصدر السابق ، ج ١ص ٨١.
(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ ١٤١٢هـ-١٩٩١م ص ٦٥.
(٣) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني ، ط٥؛ مصدر سابق، ص٥٥ــ٥٦.

والنضد، والنسق، والتصوير، والنسج والتحبير(١) ، فليس النظم مجرد توالي الألفاظ في عملية النطق وإنما هو تناسق دلالتها فيما بينها تناسقا يستوفي شرائط التعليل العقلي ، فلكل صورة تركيبية معنى خاص ، أي أن الدلالات تختلف باختلاف الصورالتركيبية ، وأن قصورها أو جمالها مبنى على آدائها دورها الدلالى ، فالألفاظ لاتراد لأنفسها) والألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، فإذا عدمت الذي له تراد، أو اختلَّ أمرها فيه، لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها ، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدا، ومن ههنا رأيت العلماء يذمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضيم لهما المعنى، ويدخل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسالك المجهولة...ذلك أنه لا يتصور أن يجب بهما، ومن حيث هما، فضل، ويقع بهما من الخلو مع المعنى اعتداد)(٢).

والدلالة عند ضياء الدين بن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) ناتج من نواتج الصياغة والتركيب ، الذى يبرز فوارق القدرات التعبيرية لدى المتحدثين والمنشئين للعبارة ، وهذا التفوت يمثل تفاوتا دلاليا يقول « واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر وأشق ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم ــ من حيث انفرادها ــ يفوق جميع كلامهم ، ويعلو عليه ، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب »(٣) ، ويخصص ابن الأثير فى كتابه « المثل

---

(١)أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق:محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة،(د.ط)١٤٠٤هـ١٩٨٤م ص٣الدلائل،ص٨٠

(٢)أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني ،مصدر سابق ، ص ٥٦.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥ ج ١ص ١٥١.

السائر في أدب الكاتب والشاعر » قرابة مائتى صحيفة تبحث فى أمر الدلالة ؛ خص قسما منها للفظة فى حال الإفراد ، وجعل القسم التالى الأخير للحديث عن الألفاظ المركبة (١)٠

ولا يكتفي ابن الأثير بالتنظير بل يعمد إلى التطبيق يقول: «وأعجب ما في ذلك أن تكون الألفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة واضحة كلها ، وإذا نظر إليها مع التركيب احتاجت إلى استنباط وتفسير ... وقد ورد عن النبي صلىالله‌عليه وآله وسلم أنه قال : « صومكم يوم تصومون ، وفطركم يوم تفطرون ، وأضحاكم يوم تضحون » وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه ، لأن الصّوم والأضحىٰ مفهوم كله وإذا سمع الخبر من غير فكرة قيل : علمنا أن صومنا يوم نصوم ، وفطرنا يوم نفطر ، وأضحانا يوم نضحي ، فما الذي أعلمنا به مما لم نعلم ؟ وإذا أمعن الناظر فيه علم أن معناه يحتاج إلى استنباط ، والمراد به أنه إذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان كذا يوم ، ولم يكن ذلك اليوم أوله فإن الصوم صحيح ، وأوله هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه ، وكذا يقال في يوم الفطر ويوم الأضحىٰ ، ولهذا الخبر المشار إليه أشباه كثيرة ، تفهم معاني ألفاظها مفردة ، وإذا تركبت تحتاج في فهمها إلى استنباط»(٢).

وأما حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) فيقف مع العلاقات الدلالية موضحا أنها تلازمية إشارية بحيث هى قابعة فى الذهن

---

(١) المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير، المصدر السابق ، ج١ص ٢١٠ ــ ٤١٦..

(٢) المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير، المصدر السابق ، ج١ص ٨٣.

محملة بدلالاتها يستدعيها عند الصياغة ، أو عند الاستماع إليها لتمام الفهم ، فيقول :

« إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك ، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم » (١).

وهكذا رأينا كيف كانت إسهامات علمائنا الأوائل فى هذا المجال ، من قبل أن تصبح الدلالة علما قائما بذاته في العصر الحديث عند الغرب ، نعم لقد حظى المصطلح والمفهوم باهتمام متزايد فى العصر الحديث ، لكن لا يستطيع إلا مكابر أن ينكر جهود علمائنا القدامى فيما توافروا عليه من بحوث واستنتاجات فى هذا المجال وما قدمته بين يدى بحثى عن جهودهم لم يرق لاستعراضها ، بل وقف عند حد تقديم النموذج والمثال.

---

(١)منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٦٦.ص١٨ .

المبحث الثانى
الدلالة عند المحدثين

أولا : المفهوم :

الدلالة لم تستقل علما منفصلا إلا فى العصر الحديث ، وكانت إرهاصاته قد بدأت فى أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر على يد عالم اللغة بريل عام ١٨٩٧م ، الذى يراه علماء الدلالة المحدثون مؤسس علم الدلالة المتعارف عليه اليوم ، وهو الذي وجه الاهتمام لدراسة المعاني بذاتها ، وقد اقترنت أهمية ريال هذه بمحاولة الناقدين اللغويين الإنكليزيين : أوجدن (C.K.OGden) وريتشاردز (I.A.Richards) الذين حوّلا مسار الدلالة بكتابهما المشترك : معنى المعنى (The meaning of meaning) الصادر عام ١٩٢٣ (١) . وذلك بتساؤلهما الحثيث عن ماهية المعنى من حيث هو عمل متزاوج من اتحاد وجهي الدلالة : أي الدال والمدلول ، فوجّها العناية بالعلاقة التي تربط مكونات الدلالة التي يجب أن تبدأ من الفكرة أو المحتوى الفعلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يومي إلى الشيء .

والدلالة؛ يعرفها المحدثون ؛ بأنها دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى ، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية

---

(١) لمزيد من التفاصيل –
مدخل إلى علم الدلالة الألسني . موريس أبو ناصر ، الفكر العربي المعاصر ، ١٩٨٢، دور الكلمة في اللغة ،–ستيفن أولمن ، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب ١٩٨٨، اللسانيات وأسسها المعرفية ، د. عبد السلام المسدي ، المطبعة العربية ، تونس ط، ١٩٨٦ . ص ١٠٤.

المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى(١).

ويفهم من التعريف الأخير أنه يتسع ليشمل كافة الرموز الدالة لغوية وغيرها ، ورغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها بما فى ذلك ما كان منها خارج نطاق اللغة ؛ فإنه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان(٢)٠

ويطلق على علم الدلالة (علم المعنى) أيضا (٣) ، وليس المعانى الذى هو فرع من علوم البلاغة ، ولا يكتفى علم الدلالة بالوقوف عند معاني الكلمات المفردة بل ينصب اهتمامه على " دراسة العلاقة بين الرمز اللغوى ومعناه ، ويدرس تطور معانى الكلمات تاريخيًا ، وتنوع المعانى، والمجاز اللغوى ، والعلاقات بين كلمات اللغة"(٤) ٠

وقد اعتمد البحث الدلالى في البداية على المنهج الوصفي الذى يرصد الظواهر رصدا دقيقا من خلال متابعة الجزئيات عن طريق الملاحظة والتحليل ثم الاستنتاج ، "أما علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية

---

(١) علم الدلالة ، مختار عمر، مكتبة دار الأمان ، ط : ١٩٨٨م ، ص:١٠

(٢) علم الدلالة ، المرجع والصفحة السابقة .

(٣) ومن علماء العرب المحدثين الذي استعمل مصطلح "المعنى" الدكتور تمام حسان ، الأصول، ص٣١٨..

(٤)علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، ص: ١٤.

المختلفة"(١). وهي طريقة تعد امتداداً "لمنهج" البحث اللغوي القديم . ثم تطور الدرس الدلالي ؛ فأصبح يعتمد على المنهج المعياري فى محاولة من المهتمين لـ"بناء هيكل نظري ينظم الركام الذي هو هيئة المعلومات السابقة، وبهذا تغدو الدراسة مقدمة لتاليات لها فيدفع العلم خطوات إلى حقول جديدة" (٢).

وأضحى علم الدلالة ابتداء من ذلك يهتم بالصورة المفهومية المباشرة التى تربط الدال فى الينيات الصوتية والتركيبية بمخزون الفكر ، فـ: "إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة، فإن الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية"(٣).

وأصبح اهتمام أهل الدلالة بما يعرف بالصورة المفهومية : "إن علم الدلالة يعني بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية"(٤). وهى صورة يصعب تحديد ماهيتها ، صعوبة إيجاد آلية لاستنتاج المعنى الفكرى المجرد بمعزل الارتباطات الدلالية الأخرى . ، وهى المعطيات الدلالة التى سنتناولها فى النقطة التالية.

ثانيا : المعطيات

تتنوع المعطيات الدلالية للألفاظ وفق السياقات التعبيرية التى ترد فيها ، والتى تستصفى من الحمولات الدلالية الكامنة فى المفردة

---

(١) الألسنية، علم اللغة الحديث ، ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط٢، ١٩٨٣.، ص٢١١.

(٢) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، فايز الداية ، مرجع سابق ، ص٩٩.

(٣) علم الدلالة ، بيار جيرو، ترجمة د. منذر عياشي، دار طلاس، دمشق ط١ ١٩٨٨. ص٧٢..

(٤) الألسنية، علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط٢، ١٩٨٣.، ص٢١١.

مايمليه السياق ، و تتدخل المعطيات فى تحديد السياق اللغوى ، كما سنحاول سرده والوقوف مع نماذجه وأدلته .

ومن هذه المعطيات الدلالية :ــ

١ـ المعطى المعجمى : أي الدلالات التي تحملها الكلمة قبل إدراجها في سياق تعبيرى معين ، أى الذى توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها بما يعرف بالدلالة الأساسية التى ترتبط بما يوحيه هذا اللفظ في الأذهان من انصراف وتبادر إلى مشخصاته الخارجية إن كان عيناً ، أو ما يرمز إليه في التصور الذهني إن كان معنىً ، و لا يلتبس بمفهوم آخر في الإدراك أو يكون رمزاً له ، أو إيهام يحول دون إرادة المعنى المحدد لتوافر القرينة الدالة على ذلك.فالمعطى المعجمى مرتبط بدلالة الكلمة خارج السياق ، أما داخل السياق فإن معطيات جديدة تطل من القرائن التي تعطي للكلمة معناها الذي يلاءم السياق.

٢ـ المعطى الصوتى : هي الدلالة الصوتية الطبيعية التي تربط بين اللفظ والمعنى ، تستمد من طبيعة بعض الأصوات ، فللجانب الصوتي تأثير بالغ في تحديد المعنى عند سماعك تراكيب صوتية ما، وتتغير دلالة المعنى بتغير المعطى الصوت من حركات، ونبر وجهارة ورخاوة وشدة...الخ، تبعا لتغير الوحدات الصوتية. وهذا المعطى يدخل فيه التواضع المجتمعى، والإرث الكلامى، ويكشفه العقل وتحييه التجربة، والدلالة الصوتية أطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية، ويعدها ابن جني من أقوى الدلالات "؛ يقول ابن جني: "فمنه جميع الأفعال؛ ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على

فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه"(١) وقد عقد ابن جني بابا في ((خصائصه)) يدلل على أهمية الدلالة الصوتية تحت عنوان: (تصاقُب الألفاظ لتصاقُب المعاني)؛ قال فيه: "هذا غَوْر من العربية لا يُنتصَف منه ولا يكاد يُحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غُفْلا مسهوّا عنه. وهو على أضرب : منها اقتراب الأصلين الثلاثيين؛ كضيّاطٍ وضَيْطار ولُوقةٍ وأَلوْقةٍ ورِخْو ورِخْوَدٍّ وَيَنْجُوج وأَلَنْجوُج....، ومنها اقتراب الأصلين ثلاثيّا أحدهما ورباعيّا صاحبُه أو رباعيّا أحدهما وخماسيّا صاحبه؛ كدَمِثٍ ودِمَثْر، وسَبِط وسِبَطْرٍ ولؤلؤ ولآل والضَبَغْطَى والضَبَغَطْرَى... لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني. وهذا باب واسع..." (٢) ؛ ويقول تمام حسان: "إن اعتماد الكلام المنطوق على أساسين: أحدهما حركي يسمى المخارج، والثاني سمعى يسمى الصفات ؛ قد عدد أسس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة ، فأمكن أن تكون منطلقًا مناسبا للسعي إلى إنشاء نظام صوتي لغوي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المَخْرَجِ والمَخْرَجِ، وبين الشدة والرخاوة مثلا، وبين الجهر والهمس وبين التفخيم والترقيق"(٣).

ومن مظاهر الدلالة الصوتية ما يسمى بـ(النغمة الكلامية)، يقول د/ إبراهيم أنيس: "وتلعب هذه النغمة في بعض اللغات دورًا مهما، ففي اللغة الصينية مثلا قد يكون للكلمة الواحدة عدة دلالات لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق. خذ مثلا تلك العبارة (يا شيخ) ، وتذكر أنك تستطيع أن تنطق بها بعدة نغمات ، وهي مع كل

---

(١) الخصائص ، ابن جنى ، مصدر سابق ، ج٣ ص٩٨ .
(٢) الخصائص ، ابن جنى ، مصدر سابق ، ج٢ص١٤٥ .
(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان عمر، عالم الكتب ، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ص٤٦.

نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة ، فهي مرة لمجرد الاستفهام، وأخرى للتهكم ، وثالثة للدهشة والاستغراب... وهكذا.

(ومن مظاهر الدلالة الصوتية النبر فقد تستعمل (اسماً) إذا كان النبر على المقطع الاول منها، فاذا انتقل النبر تصبح فعلا ، ولو أنك قلت فعلاً تقصد به الأمر فالنبر واضح ويركز تركيزاً شديداً على الحروف الصحيحة دون حروف العلة فعندما نقول مثلاً اكتب يكون التركيز على حرف الباء، اما ادعُ فيحذف منه حرف الجوف لانك لا يمكن أن تشد عليه فلا نبر فيه (١).

٣ـ **المعطى الاشتقاقى** أو (التصريف) الذى به تتعدد الصيغ ، ويحصل الإثراء اللفظى ، وتتحقق الدقة الدلالية للمفردة وفق الصيغة التى جاءت عليها وفى السياق الواردة فيه ، ولعل فى تصريف الأفعال وصيغ المبالغة وغيرها من مباحث الاشتقاق ميعطى الثراء ، ويكسب التنوع الدلالى ، فإن " شكل الكلمة و مادتها الأصلية التي تتكون منها، و هيئتها التي بنيت عليها حروفها و وظائفها الصرفية التي تمتاز بها، و ما تؤديه هذه الوظائف من إيماءات دلالية ناتجة عن مادتها و هيئتها و عن استعمالاتها المختلفة و المتنوعة التي أكسبتها تنويعها دلالات عديدة" (٢) ، فاللفظة تتغير دلالتها اشتقاقيا عن رغبة فى التوسعة وطلبا للدقة التعبيرية ، مثل الانتقال من اللزوم إلى التعدى أو المبالغة ، أو حصول صيغ الزمان والمكان والفاعلية والمفعولية ونحوها . والأمثلة عليه كثيرة لايتسع المجال لذكرها ، كما أنها لاتخفى على دارس اللغة وآدابها .

---

(١) دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة /١٩٨٤، ص٤٦/٤٧ بتصرف .

(٢) مقدمة كتاب الدلالة الإيحائية فى الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، من منشورات اتحاد الكتاب العربدمشق – ٢٠٠٣ ، ص٨ .

٤- المعطى التركيبى، وهو المتعلق بنظام الجملة وهيئة تركبها، وهوباب واسع ، واللغة العربية ثرية فى تراكيبها كما هى ثرية فى مفرداتها ، مما يجعل المعبر أمام باب يتسع الولوج منه ، وتتعدد مناحيه ، فتبرز الفروق الفردية بين المبدعين ، وتظهر قدراتهم فى البناء والتركيب والتوليد والدقة والخيال ....الخ ، وقد أفردت له الدراسات تحت مسمى (علم دلالة الجملة) أو علم الدلالة التركيبي وتولد عن دراسة الغربيين ماعرف بالنحو التحويلي . فمعطيات الصلات الدلالية بين مكونات الجملة ، كما بحثوا الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات . فقد تستقيم الجملة نحويا ، لكنها قاصرة دلاليا عن آداء المراد ، لأسباب تتعلق بالصياغة وتركيب المعنى ، فالجملة قد تكون صحيحة نحوياً ، ولكنها ليست كذلك دلالياً (١) بعنى أنها لاتفى دلالتها بالمراد الذى أريد توصيله إلى المتلقى .

٥- **المعطى الاجتماعى** ، وهى الدلالات التى تكتسبها المفردة من البيئة وعبر تاريخها ؛ منتقلة من الحسى إلى العقلى فى سياقات تعبيرية تتعدد فتتعدد الدلالات المصاحبة للمفردة ، وذلك عبر الوضع أوالاشتقاق أو النحت ، ونحوه ، مما يزيد من زخمها الدلالى وهو ماتحاول معاجمنا العربية أن توقفنا عليه، فالإنسان اجتماعى بطبعه، واللغة من أهم وسائل الاتصال والتفاهم وطبيعة العلاقات الإنسانية متطورة متغيرة ومناحيها متعددة ، بما تفرضه الحاجة فيما يتعلق بحياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ووشائج الاتصال البشرى تواكب الحضارة في تطورها فتكتسب المفردات خصائص دلالية دعت

---

(١) التحليل الدلالي للجملة العربية د. عبدالرحمن أيوب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد /١٠م ١٩٨٣/٣ ص١٠٨ وما بعدها .

الحاجة عند التعبير إليها. فمن هنا تنشأ دلالات جديدة للفظ تستقل عن سابقتها أو تعمقها .

إن للدور التاريخي والبيئة اثراً كبيراً وواضحاً في تحديد الدلالات فالألفاظ تنشأ عن حاجة الناس إليها والأمر يتعلق بما وضعه الناس لحاجاتهم ، فأصبحت دلالاته متفقا عليها تقريباً ، فهناك عوامل كثيرة تشترك في إيجاد وضع مناسب لنمو الدلالة من الظروف المحيطة البيئية والثقافية والعادات والتقاليد بل والأزمات ؛ مما يجعل الانسان يصغي لهذه الدلالات ، فتضاف إلى رصيده المعرفى واللغوى، وتصبح قيد الاستخدام ، فينمو المعجم الدلالى بفعل المعطى الاجتماعى٠

٦ـ المعطيات النفسية :

لايمكن بحال أن نستهين بالمعطى النفسى للدلالة ، فهناك تطورلا شعورى يصاحبنا مع بعض المفردات والعبارات لارتباطها فى اللا وعى ، بأحداث تستدعيها اللفظة أو العبارة عند ذكرها ، فتحمل دلالات نفسية تؤثر فى مشاعر المتلقى بما ينعكس على التأثيرالدلالى إيجابا وسلبا (فالتطور اللاشعوري يتم في كل لغة و في كل بيئة)(١)، ولذا فينبغى أن نوائم فى صياغة العبارة بانتقاء اللفظة ذات التاثير الذي يتلاء م مع مراد المتكلم ، وحساسية المتلقى له ؛ لأن ((السياق العاطفي هو المحدد لدرجة القوة أو الضعف في الانفعال مما يقتضي تاكيد اومبالغة او اعتدال))(٢) ٠

---

(١) دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، مرجع سابق ص ١٣٤– ١٣٥.

(٢) علم الدلالة ، أحمد مختار ، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت،ط ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م. ص٧٠.

فالأفراد يتفاوت تأثرهم النفسى ببعض الألفاظ وفق ما تثيره لفظة ما من استجابة أو ردة فعل لا تُحدثها لفظة مغايرة ، و قلت نوائم حتى لا نغفل أن التاثير له ارتباط بالمتكلم كذلك ، فـ((المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم إلى اخر (١) فلفظة العقم تثير فى العقيم مشاعر سلبية ، ولو قيلت فى سياق مختلف (العقم التهديفى) مثلا ، ومن يواجه موقفا ، يرتبط لديه بعبارة ، تظل فى مخزون ذاكرته ، تستدعى فيه الوخذ القديم كلما رددت هذه اللفظة لما لتحدثه من تلازم مع الموقف السابق ، فى حين لا تستدعى شيئا لمن لميمر بمثل هذه الظروف النفسية؛ فـ((العلاقة بين علم النفس واللسانيات مهمة إلى الحد الذي أدى إلى ظهور اللسانيات النفسية ، فالمدخل النفسي إلى اللغة يكمن مبدئيا في محاولة تفهم العمليات التي تمر بها اللغة في حالتي المتكلم والسامع))(٢)٠

ويقع على المتكلم عبء تخلصه من الأثر النفسى عند التعبير، واستيعاب مدى التأثير الدلالي الذي تحدثه لفظة دون أخرى على المتلقى

---

(١) علم اللغة / محمود السعران ، دار المعارف مصر، ١٩٦٢ م.ص٣٠٢.

(٢) علم الدلالة: أف.أر بالمر: ترجمة :مجيد الماشطة ،كلية الاداب الجامعة المستنصرية ، بغداد، ١٩٨٥ م ص١٨.

المبحث الثالث
جدلية المعطيات والسياق

تعرفنا فيما مضى على الدلالة مفهومها ، ورؤية القدامى والمحدثين حولها ، وذكرنا المعطيات الدلالية ، وكيف أن المفردة الواحدة ؛ يمكن أن تحمل رصيدا دلاليا متنوعا وثرا ، لكن الذى يستصفى هذه الدلالات ، ويضعها فى مصب دلالى محدد يمثل المعنى المقصود ؛ إنما هو السياق التعبيرى ، فـ" معظم الوحدات اللغوية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"(١) . ومن ثم رأينا أن نفرد له هذا المبحث للوقوف على هذه الجدلية بين المعطيات والسياق.

السياق ، مأخوذ من الجذر اللغوى (س و ق)، والكلمة مصدر(ساق يسوق سوقاً وسياقاً) (٢)، ومن معانيها الواردة فى كتبنا اللغوية (السوق : مصدر سقت البعير أسوقه سوقاً) (٣)، (السياق: المهر، يقال: سقت إلى امرأتي صداقها سياقاً، أي أعطيتها المهر)(٤)، ويقال: (رأيت فلاناً يسوق، أي: ينزع عند الموت)(٥). ومن معانيه الدفع والتوالى والتتابع .

---

(١) علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر ــ مرجع سابق ــ : ٦٨ – ٦٩.
(٢) لسان العرب لابن منظور، مصدر سابق ، مادة (سَوَقَ).
(٣) جمهرة اللغة: ابن دريد – (محمد بن الحسن الأزدي ت ٣٢١ هـ) بيروت (د– ط) دار صادر، ط: ١، ١٣٤٥ هـ ،ج٣ ص٤٣
(٤) مقاييس اللغة: ابن فارس ، مصدر سابق ، ٣ / ١١٧..
(٥) تاج العروس: ، مصدر سابق ، (سوق).

ثانياً: السياق في الثقافة العربية الإسلامية:

إن الثقافة والفكر العربى ، وهو يبحث عن المعنى والدلالة ، لم يغفل على الإطلاق ، أثر السياق إلا أن هذا الجهد العربى دائما ما يأتى متفرقا لا يصاحبه تنظير ، وتلك مهمة تقع على باحثينا ، حتى نرد للفكر العربى بعض حقوقه المهدرة.

فقد استخدم العرب اصطلاح (السياق) بما هو مقارب لما تواضع عليه المحدثون فى توصيفهم له ؛ وهو سرد الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه(١).

كما أن الإشارة إلى السياق كانت واضحة عند الأصوليين ؛ فقد وضعوا فى أسس فهمهم للعبارة القرائن المحيطة بها ، إضافة إلى مقصد المتكلم فـ(دلالات الألفاظ ليست لذاتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته) (٢).

كما أن للألفاظ معانى عرفية لا تسقط دلالتها ، فالوضع اللغوى والعرفى والقرينة ، والرمز ، والإشارة ، والمقصد من الأمور التى تراعى عند التعامل مع النص ، فـ(طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة ... وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ ، والقرينة إما لفظ مكشوف ... وإما إحالة على دليل العقل ... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها، فينقلها المشاهد من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من

---

(١) (الرسالة)، للشافعي ، مصدر سابق :ص٥٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن : تحقيق : د. سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت ــ الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ ١ / ١٨..

جنس آخر حتى توجب علماً ضرورياً يفهم المراد، أو توجب ظناً ... وعند منكري صيغة العموم يتعين تعريف الأمر والاستغراق بالقرائن)(١)، واللغويون ليسوا ببعيدين عن فكرة السياق وأثره على الدلالة ، يقول سيبويه فى تعليقه على بيت امرىء القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة ∴ كفاني ولم أطلب قليل من المال

(فإنما رفع ، لأنه لم يجعل القليل منصوباً ، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى)(٢)٠

كان يمكن نصب قليل على الاشتغال ، لكن هذا ليس مراد امرىء القيس، وإن صح نحويا، لكنه يفسد لمخالفته مقصد المتكلم، فامرؤ القيس ، لم يكن سعيه للعيش ، وإلا لكفاه منه القليل ، وإنما كان مطلبه الملك . فالذى حدد وجهة الإعراب هو السياق ، ويعلق ابن جنى على بيت ؛ نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقول – وصكت وجهها بيمينها ∴ أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فيقول: (فلو قال [الشاعر] حاكياً عنها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة ، ولكنه لما حكى الحال فقال : (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها . هذا مع أنك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين. وقد قيل: (ليس المخبر كالمعاين). ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله (وصكت وجهها)، لم

---

(١) المستصفي من علم الأصول – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. دار العلوم الحديثة ، بيروت. د.ت ، : ١ / ٣٣٧وما بعدها .
(٢) كتاب سيبويه: مصدر سابق ١ / ٧٩ .

نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها)(١). فقد رأى ابن جنى فى الحالة التى رسمها الشاعر سياقا أضاف إلى الدلالة المقالية دلالة حالية.

وأما السياق البلاغى فحدث عن مقولات البلاغيين فيه ولا حرج فمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، الذى هو أصل من أصول البلاغة ، قد أجمل الكثير من خصائص السياق ، يقول التهانوي: " والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص – أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال – أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللَّةً بالأحوال "(٢).وقاعدتهم الموجزة الدالة " لكل مقامٍ مقال ، فتعرّضوا للعلاقة بين المتكلم ومراده ، والمخاطب واستيعابه ،والحال ومفرداته ، يقول الجرجانى ((لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك)) (٣): فـ((الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفرد ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ))(٤):

---

(١) الخصائص: مصدر سابق ، ١ / ٢٤٦.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م ، ١٢٥/٢ .
(٣) دلائل الاعجاز :الجرجانى ، مصدر سابق ٣٨،.
(٤) المصدر السابق ٣٢.

ونحن لسنا بصدد تناول القضية على وجه مسهب ، ولكن نشير فقط ، إلى أن هذه الدراسات المستقطبة الحديثة لم تكن ببعيدة عن عقليتنا العربية ، ولا نأت عن فكر الأوائل أو توارت٠

فمنذ أن طفت على سطح الفكر الغربى نظرية (النهج السياقي أو العملي) على يد العالم الانجليزى (فيرث)، ووجه إلى أن دلالة المفردة لا تنكشف إلا بعد وضعها أو تسييقها في تراكيب لغوية(١)، يصفون المعنى المعجمى لكلمة بأنه متعدد، ويحتمل أكثر من معنى واحد ، فى حين يصفون المعنى السياقى لها بأنه واحد لايحتمل غير معنى واحد)(٢)٠

(من الصعب جدا تحديد دلالة الكلمة ، ذلك لأن الدلالة لا تقتصر على مدلول الكلمة فى ذاتها ، إنما تحتوى على المعانى كلها التى يمكن أن تتخذها الكلمة ضمن السياقات اللغوية)(٣)٠

وأصبحت الجدلية قائمة بين الدلالة والسياق (فالكلمات والدلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته فهو الذى بعطى الإضاءة للغرض والقصد)(٤)٠

يقول (كولردج): "ولا يتضمن معنى اللفظة في رأيي مجرد الموضوع الذي يقابلها، بل يشمل أيضاً جميع الارتباطات التي تبعثها اللفظة في أذهاننا فطبيعة اللغة لا تمكنها من نقل الموضوع فحسب ،

---

(١) علم الدلالة: أحمد مختار ، مرجع سابق ص٦ وما بعدها.
(٢) منهج البحث اللغوى بين التراث وعلم اللغة الحديث ،على زوين ، دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦ ص١٨٥.
(٣) الالسنية علم اللغة الحديث: مرجع سابق ، ص٢١١.
(٤) علم الدلالة العربي: فايزالداية ، ص١٩٥.

وإنما تجعلها أيضاً تنقل شخصية المتكلم الــذي يعــرض الموضــوع ونواياه" (١).

وتختلف السياقات ، فهناك سياق لغوى للمفــردات ، وســياق نفسى، له علاقته بالمشاعر والأحسيس على نحو ما بينا فى المعطى النفسى، وهناك سياق الحال أو الموقف الــذى يحــدد خــط الدلالــة التعبيرى وفق الزمان والمكان ، والسياق المعرفى ، الذى يتحكم فى طريقة اختيار المفردات وسوقها من مستوى ثقافى أو بيئى لمستوى آخر، وتتقاطع السياقات مع المعطيات ، لتعطى للمفردة دلالة محددة.

---

(١) كلوردج : محمد مصــطفى بــدوي، ، دار المعــارف، مصــر، ١٩٥٧.ص٩٧.

الفصل الثانى
التطبيق
مفردة النيل فى الشعر العربى نموذجا
توطئة
القيمة الدلالية للمفردة

تأتى القيمة الدلالية لمفردة (النيل) من أبعاد تاريخية واجتماعية ونفسية فقد ارتبط المصريون بوادى النيل، وأصبح النهر مصدر أرزاقهم ، ورفيق كدحهم ، وصنو حياتهم، وملتقى حبهم، ومستودع أسرارهم ، فأقاموا على واديه واحدة من أهم حضارات البشرية ، وورث المصريون عن أجدادهم زخما فكريا كبيرا أحاط بالنيل مما سجلته جدران المعابد ، من شعر وقصص وحكايات ونسجت من حوله الأساطير ، و برع الأديب المصرى القديم ؛ فى أن يجعل من النيل مرموزا يستعين به فى قصصه لتوصيل الحكمة وآداب السلوك فالنيل يتوقف عن غمر الأرض وتهدد البلاد المجاعة ؛ إذا عمت الفوضى البلاد ، فسلوك النيل فى عطائه ؛ متوقف على سلوكهم فى الانتماء إليه (١) ٠

و لم يكن النيل منذ القدم مجرى مائي كبير فحسب ؛ بل كان ظاهرة طبيعية كبرى ، وسمة متميزة من سمات مصر ، أوحت الكثير من الفن، وحملت كثيرا من العقائد، وفجرت الكثير من الأحاسيس والقصص والأساطير(٢).

---

(١) النيل فى الأدب المصرى ــ د/ نعمات أحمد فؤاد القاهرة : دار المعارف. ١٩٦٢ص٤٥ .

(٢) موسوعة مصر القديمة ، سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠١م ، ج ٢ ص٣٨٣

وللنيل في التراث الإسلامي ذكر وإشادة، فقد صح عند البخاري ومسلم في بعض طرق حديث الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ قال: "ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات ، ثم فرضت علي خمسون صلاة" (١) .

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» (٢).

وكان للصحابة والمسلمون الأوائل مع النيل أخبار وحوادث ففى فتوح مصر أن: "معاوية بن أبي سفيان سأل كعب أحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبراً، قال إي والذي فلق البحر لموسى! إني لأجده في كتاب الله، إن الله يوحي إليه في كل عام مرتين: يوحي إليه عند جريه أن الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ، ثم يوحي إليه بعد ذلك يا نيل غر حميداً" (٣).

وساق بسند صحيح عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر

---

(١) الجامع الصحيح ، البخارى ،تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، لطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ ، ج٤ ص١١٠

(٢) صحيح مسلم ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج٤ ص ٢١٨٣ .

(٣) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : السيوطي، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٧ – ١٩٦٧ الطبعة الأولى ، ج١ ص٣٣٠ .

اللبن في الجنة (١). وكتب التاريخ والبلدان والرحلات زاخرة عامرة بما سجلته حول النيل وفضـــائله وحكاياتـــه وأوصـــافه.....كمعجم البلدان لياقوت الحمويالنجوم الزاهرة لابن تغري بـــردي ، والبدايـــة والنهاية لابن كثير ، وما ذكره ابن بطوطة فى رحلته ، وقد وصـــفه أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي، في نزهة المشتاق.

وقد شاعت خرافات ظاهرة حول النيل، ويحمد لعلماء الإســـلام ردها ببدائه العقول.

وأما ما حفظته الذاكرة الشعبية من عادات وتقاليد وطقـــوس ، وما ارتبط فى ذاكرتها حول النيل من قصص وأســـاطير فحـــدث ولا حرج ، من هنا فإن للمفردة حضور دلالى ونفسى ، يفوق جضـــورها المعجمى الذى اكتسبته بالتعريب ٠

---

(١) المرجع والصفحة السابقة

المبحث الأول
المفردة وسياق التركيب فى الشعر العربى القديم

على الرغم من أن معرفة العرب بالنيل قديمة جدا ، وحق لمن كان خبره بعض ما ذكرته لك أن يعرف ، ولهذا لم يستفهم الصحابة يوم أخبرهم النبي ﷺ عن خبره ليلة الإسراء.

ومع ذلك لم يحظ النيل باهتمام الأدب العربى القديم (١)، فلا نكاد إلا نادرا نظفر بهذه المفردة فى الشعر العربى القديم، وتأتى غالبا فى سياق المبالغة للدلالة على الكثرة، ففى العصر الجاهلى فى سياق المدح على نحو ما استعملها الأعشى فى قوله(٢):

ما النيل أصبح زاخرا من مدّه ∴ جادت له ريح الصبا فجرى لها
زبدا ببابل فهو يسقي أهلها ∴ رَغدا تفجره النبيط خلالها
يوما بأجود نائلا منه إذا ∴ نفسُ البخيل تجهّمت سؤّالها

فى شكل من أشكال البنائية المتعارفة فى الشعر العربى القديم وهو أن تزيد حمولة الدلالة حول مفردة من خلال المتعلقات مؤخرا الحكم بها فى محاولة لتكثيف المبالغة، وتعده طائفة من البلاغيين والنقاد عيبا من العيوب التي ينبغي تجنبهاإخلاله بالبنية الدلالية الموحدة للبيت الشعرى.ويجىء فى إطار المباغة كذلك؛ قول أعشى باهلة وذلك في معرض اعتداده خبر المرأة التي راودها الرجل عن نفسها فخادعته،ثم طعنته بالمدية فانبجس الدم منه كأنه نهر دافق(٣):

---

(١)سواء من الشعراء الذين سمعوا به،أم من أولئك الذين زاروا مصر، وأقاموا على ضفافه،مجلة المجلة.عدد(٨)٧ أغسطس١٩٥٧م ص٧.

(٢) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، تحقيق محمد محمد حسن، ا لمطبعة النموذجية. لقاهرة ١٩٥٠، ص٢٩.

(٣). النَّجُّ: الصَّبُّ الكثيرُ، وخص بعضهم به صَبَّ الماء الكثير؛ نَجَّهُ يَنُجُّهُ نَجّاً فَنَجَّ وانْنَجَّ،والنَّجُّ: السَّيَلانُ.مصارع العشاق ، تأليف: ابي محمد السراج القارئ ، الناشر: دار صادر ج١ ص٨١ ٠

فَثَجّ كأنّ النيلَ في جَوفِ صَدرِه ∴ وَأدرَكَها ضُعفُ النِّساءِ فخَرّتِ

فالدم النازف من الطعنة النافذة كماء النيل المنهمر فى كثرته ، وتتوالى المفردة فى سياق المبالغة كذلك فى كرم الممدوح الذى زاد عطاؤه وفيضه على عطاء النيل وفيضه ، عند شعراء أتوا لاحقين فى العصور التالية فى مبالغات فجة ومستهلكة ، مما صار إرثا نمطيا للقصيدة التقليدية فى الشعر العربى فيما بعد ، ففى إطار جريان المفردة فى سياق المبالغة ، يقول الأحوص الأنصارى(١) :

وَالمُجتدي مُوقِنٌ أن لَيسَ مُخلِفَهُ
سَيبُ ابنِ لَيلى الَّذي يَنوي وَيَعتَمِدُ
لَو كانَ يَنقُصُ ماءَ النيلِ نائِلُهُ
أمسى وَقَد حانَ مِن جَمّاتِهِ نَفَدُ

فهل رأيت النيل قد نقص ماؤه أو نفد من كثرة النائلين منه ، فكذا كرم ابن ليلى لا ينفد وعطاؤه لا ينتهى .

وأعشى باهلة.هو/ أبوقحفان عامر بن الحَرث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن. شاعر جاهلي مجيد .. انظر ، الأعلام للزركلى ، دار العلم للملايين ، الطبعة: ١٥ ، ج٣ص٢٥٠ ، المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء / الآمدي /تحقيق : ف. كرنكو الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م ص١٤، وخزانة الأدب/ البغدادي ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٩٨م ج١ص١٩٢.

(١) سيب: المزن الهاطل، وابن ليلى هو: هو عبدالعزيز بن مروان، جماته: متجمعه، شعر الأحوص الأنصارى، جمع وتحقيق/ عادل سليمان جمال ، تقديم / شوقى ضيف ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط ١٤١١هـ ،١٩٩٠ م ، البيت ص١١٦ ، من قصيدة مطلعها ص١٠٩ .

وعلى نفس السنن يقول الفَرَزدَق؛ يمدح أبان بن الوليد البجلى(١):

أَعِنّي أَبانَ بنَ الوَليدِ بِدَفقَةٍ ∴ مِنَ النيلِ أَو كَفّيكَ يَجري عُبابُها

ولا فرق بين دفقة من النيل أو من يد الممدوح ، فكلاهما نهر عطاء ، يقول: (٢)

أَلَم تَرَ أَنَّ النيلَ نَصَّبَ ماؤُهُ ∴ وَماتَ النَدى بَعدَ اِبنِ لَيلى وَفاعِلُه

والمماثلة تقضى بأن ينضب ماء النيل حزنا على كريم يماثله ويقول مادحا عبيد الله بن أبى بكرة(٣):

أَبا حاتِمٍ! مَا حاتِمٌ في زَمانِهِ، ∴ وَلا النّيلُ تَرمي بالسّفينِ غَوارِبُهْ
بِأَجوَدَ عِندَ الجُودِ مِنكَ، وَلا الّذي ∴ عَلا بِغُثاءٍ سُورَ عانَةَ غارِبُهْ

أما ممدوحه هذه المرة فقد فاق حاتم فى زمانه ، والنيل ، وقد طما ماؤه وفاض ، ونحوه قول كثير عزة(٤) :

فَلَيسَ النَيلُ حِينَ عَلَت قَراهُ ∴ غَوالِبُهُ بِأَغلَبَ ذي عُبابِ
بِأَفضَلَ نائِلاً مِنهُ إِذا ما ∴ تَسامى الماءُ فانفَسَ الرَوابي

---

(١) شرح ديوان الفرزدق، إليا حاوى ،دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ج١، والبيت ص١٠٠ من قصيدة مطلعها ص٩٩ ، الفَرَزدَق٣٨ - ١١٠ هـ / ٦٥٨ - ٧٢٨ م .
(٢) شرح ديوان الفرزدق ، مصدر سابق ج٢، والبيت ص ٩٣.
(٣) شرح ديوان الفرزدق ، مصدر سابق ج١، والبيت ص ٢٠٢ من قصيدة مطلعها ص١٩٩ .
(٤) ديوان كثير عزة ، جمع وشرح / إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧١م ، والبيت ص٢٨١ ، من قصيدة مطلعها ص٢٧٩

وقول رؤبة بن العجاج(١) :

أعَـزَّ مِنْـهُ نَجْـدَةً وَأسْـمَحا ∴ مـا النِيـلُ مِـنْ مِصْـرَ إذا تَبَطَّحـا

وقول مروان بن أبى حفصة(٢):

ما جَدا النيـلِ نيـلِ مِصـرَ إذا مـا ∴ طَـمَّ آذِيُّـهُ كَـبَعضِ جَـداكا

وقول نُصيب بن رباح يجعل من النيل معادلا لممدوحه ، فيخلع عليه اسمه ، فى سياق البشرى بممدوحه مجدولا بالنيل ، فكمـا أن الخيركان فى ركاب النيل ، أضحى فى ركابهما (٣) :

قَبَشِّـر أهـلَ مِصـر فَقَـد أتـاهُم ∴ مَـع النيـل الَّـذي في مِصـر نيـل

وجريريهجو قوما باللؤم ، فهم لا ينفكون عنه حتى يعود النيل من حيث أتى .. وهيهات(٤):

مُحـالِفو اللُـؤمِ آلى لا يُفـارِقُهُم ∴ حَتّـى يُـرَدَّ عَلـى أدراجِـهِ النيـلُ

وابن الرومى ، يتوعد بالهجاء ،وأنه مصر عليه ، سـادر فيـه لا يتوقف إلا إذا توقف النيل عن الجريان، يقول(٥):

فـدونك فاصـبِرْ للـهجاء فـإنني ∴ زعـيمٌ بـه مـا أصـبح النيـلُ جاريـا

---

(١) مجموع أشعار العرب فيه ، ديوان رؤبة ، تصحيح وترتيب وليـم بـن الورد البروسى ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، بـدون تـاريخ ، والبيـت ص٣٤ ، من قصيدة مطلعها ص ٣٣، رؤبة بن العجاج؟ – ١٤٥هـ / ؟ – ٧٦٢م.

(٢) شعر مروان بن ابى حفصة ، جمع وتحقيق / حسـين عطـوان ، دار المعارف الطبعة الثالثة ، سلسلة ذخائر العرب رقم ٤٩، والبيـت ص٧٦ ، من قصيدة مطلعها ص ٧٣ اذيه : الموج

(٣) شعر نصيب بن رباح ، جمع وتقديم د/ داود سلوم /مطبعة الإرشـاد ، بغداد ١٩٦٧والبيت ص١١٤

(٤) شرح ديوان جرير/ محمد اسماعيل عبد الله الصاوى / المكتبة التجارية الكبرى القاهرة بدون تاريخ ، ص٤١٩ من قصيدة مطلعهـا ص ٤١٧ ، بهجو بها التيم .

(٥)ديوان ابن الرومى/ شرح:أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ح٣ ص٥١٥ من قصيدة ، بهجو بها ابن حريث .

وعلى الرغم من وفود أبى نواس إلى مصر ومدحه واليها الخصيب ، وورود لفظة النيل فى شعره إلا أنه لم يكن يعنيه منها فوق ما عنى سابقيه ، من تشبيه ابن الخصيب به فى الفيض والعطاء ، وتفوق عطاء ممدوحه على عطاء النيل(١):

النيلُ يُنعِشُ ماؤهُ مِصراً ∴ وَنَداكَ يُنعِشُ أهلَهُ الغَمرُ

ويقول متغزلا (٢):

سَقاني صَفوَ ماءِ النيلِ وَهناً ∴ بِراحٍ مِن كُروم قُرى سُيوطِ

ورغم صفو ماء النيل الممزوج براح من كروم سيوط ، فإن ذلك لا ينسيه تجهمه للنيل ونفوره منه، فلا يرى فيه إلا موطن التماسيح الفاتكة المخيفة، ولا يسره رؤيته فى غير أكواب الشراب(٣):

أضمَرتُ لِلنيلِ هِجراناً وَمَقلِيَةً ∴ مُذ قيلَ لي إنَّما التِمساحُ في النيلِ
فَمَن رَأى النيلَ رَأيَ العَينِ مِن كَثَبٍ ∴ فَما أرى النيلَ إلّا في البَواقيلِ

والنيل بخيل كطبيعة أهل مصر يملكون ولا ينفقون ، والنيل حوى الماء الوفير مضافا إليه التماسيح التى تجعل الوصول إليه متعذرا إن لم

---

(١).ديوان أبى نواس ، شرح غريبه / محمود أفندى واصف ،طبع المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨م ص١٠٢.

(٢).ديوان أبو نُوّاس ــ دار الكتاب العربى ــلبنان ــ ص١٥٦

(٣) .ديوان أبو نُوّاس ــ المصدر السابق ــ ص٤٧٩ ، ص٧. يقولون فلان لا يعرف البواقيل، من الشواقيل، فالباقول الكوبوالشاقول عصا قدر ذراع في رأسها زج، يشد إليها المساح حبله، ثم يرزها في الأرض . حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني إبراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأي رجلا قد أخذه التمساح فقال أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * مذ قيل لي إنما التمساح في النيل فمن رأي النيل رأى العين من كثب * فما أرى النيل إلا في البواقيل قال الصولي - والبواقيل – سفن صغار. نقلا عن ؛الأمالي – السيد المرتضى – صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه) حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي الطبعة الأولى) (سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م(ج ٣ – الصفحة ٥٢

يكن ممتنعا يقول(١):

يأهل مصر لقد غبتم بأجمعكم ∴ لما حوى قصب السبق المساميح
أموالكم جمة والبخل عارضها ∴ والنيل مع جوده فيه التماسيح

على نحو ما فعل صالح بن مؤنس ،الذى لم يجد فيه غير لجج تصعب السفر وتعوق الترحال، وتماسيح جائعة تفتك بمن يقترب(٢):

يا آمري بالسير في لجج النيل ∴ كأن سخرت لي الريح
ما جمد الماء لي فأركبه ∴ كلا ولا صامت التماسيح

وأبو تمام ملأ قربته من ماء النيل ، ودار يسقى من مائه فى مسجد مصر الجامع ، إلا أنه لم يرد فى شعره ذكرا لمصدر الماء ، وأهمل ذكر النيل فى شعره، ونالت مصر من إجحافه ما لحق بنيلها، فلم يرد ذكرها فى شعره إلا بما هو أقل من عدد أصابع اليد الواحدة ، إن اضطر إلى ذلك فى ذكر مكان ممدوحه مرورا عابرا ، وحين توقف كانت مقوضة رجائه، وصارعة عزمه(٣):

وَصارَعتْ عَن مِصرٍ رَجائي وَلَم يَكُن ∴ لِيَصرَعَ عَزمي غَيرَ ما صَرَعَت مِصرُ

وقصد المتنبى(٤) مصر ، واستوطن بها زمنا ، غير أن ذكر النيل لم يرد عنده إلا عرضا ، كما فى قوله :

---

(١).ديوان أبو نُوّاس ، شرح غريبه / محمود أفندى واصف ــ مصدر سابق ــ ص١٥٤

(٢)يتيمة الدهر / الثعالبى / شرح وتحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ، ج١ ، ط١ ١٤٠٢ /١٩٨٢ م ،ص٤٧٤ .

(٣) شرح ديوان أبى تمام / الخطيب التبريزى / دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤/ ١٩٩٤ . ج٢ ،ص٤٤٤.

(٤)غمرت: أي شربت شربا قليلا. واستذرت: أي استترت. والمقطم: جبل على جانب النيل.يقول: سرنا بالخيل والإبل في البيداء، فصارت آثارها فيها كالسمة، حتى وصلنا إلى مصر، فشربت من النيل واستترت بظل المقطم. شرح ديوان المتنبى للمعرى المعروف بمعجز أحمد ، تحقيق

وَسَمنا بِها البَيداءَ حَتّى تَغَمَّرَت ∴ مِنَ النيلِ وَاستَذرَت بِظِلِّ المُقَطَّمِ

وقوله فى معرض الحديث عن الأسد الذى قتله بدار بن عمار(١):

ورد إذا ورد البحيرة زائرا ∴ ورد الفرات زئيره والنيلا

أما البحترى ، ففى المرة اليتيمة التى ذكر النيل فيها رأى فيه مصدرا للأمراض والأوبئة(٢) :

ما كَسَبنا مِن أحمَدِ بنِ عَلِيٍّ ∴ وَمِنَ النيلِ غَيرَ حُمّى النيلِ

أما أبو العلاء المعرى ، ففى المرات القليلة التى ورد ذكر النيل فى شعره ، يذكر بما كان لمصر من سالف أمجاد تنافس أمجاد دجلة وغيره (٣):

وكانتْ مِصرُ ذاتُ النيلِ عَصراً ∴ تُنافِسُ فيكَ دِجلَةَ والسّوادا

وغير ذلك هى مفردة عابرة فى موضعين آخرين عنده :

أكذا الجِيادُ إذا أرادَتْ مَوْرِداً ∴ تَضَبَ الفُراتُ لها وغاضَ النّيلُ(٤)

رحَلَتْ لِم آتِ قِرْواشاً أزاوِلُهُ ∴ ولا المُهَذّبَ أبغي النّيلَ تَقْويتا(٥)

ودراسة / عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط٢ ١٤١٣/ ١٩٩٢ ، ج ٤ ، ص٨٣.

(١). شرح ديوان المتنبى للمعرى المعروف بمعجز أحمد ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٦٩..

(٢) ديوان البحترى ، مطبعة هندية بالموسكى ، الطبعة الأولى ١٣٢٩/١٩١١ ، ج٢ ص١٨١.

(٣) والسوادا أى سواد العراق ، سقط الزند / أبو العلاء المعرى ،دار بيروت ، ودار صادر ١٣٧٦/١٩٥٧، ص٢١٤ ،.

(٤) سقط الزند ، المصدر السابق ، ص١٤٢ .

(٥) هو :قرواش بن حوط أحد بنى صرمة ، وكان أميرا يلى أمر بغداد ، والمهذب وزيره ، سقط الزند ، المصدر السابق ، ص١٧٥

ومعلى الطائى ممدوحه لا يكنز المال ، ولو كان النيل بحوزته لأنفقه(١) :

يا أعظم الناس عفوا عند مقدرة ∴ وأعظم النّاس عند الجود للمال
لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهبا ∴ لما أشرت إلى خزن بمثقال
تغلي بما فيه رق الحمد تملكه ∴ وليس شيء أعاض الحمد بالغالي

وكما استخدم فيض النيل مدحا للكريم ، جاء كذلك من يقلبه للهجاء فأبان اللاحقى يهجو صاحب وقّد ألم به مرض (سلس البول) على مايبدو ، فيعيره لكثرته بأن النيل فى جوفه ، يقول (٢):

وَما بالُ مُناجيكَ ∴ تَوَلّى وَهوَ مَبلولُ
فَإن كانَ مِنَ الجَوفِ ∴ فَقَد سالَ بِكَ النيلُ

---

(١) ولم أعثر له على ترجمة ، أو ذكر غير الحادثة التالية ، والتى رددهتها مصادر مختلفة ، وحادثة أخرى تروى قصة له مع جاريته ، غير ذلك لم أظفر عنه بأخبار أكثر، غير الحادثة التالية ، يمكن أن نستنتج منها أن شاعرنا عاش فى القرن الثالث الهجرى تقريبا ،يقول الخبر : لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز وكان عليه واحدا فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائي وقد بلغ مني ما كان منك إلي من جفاء وغلظ فلا يغلظن علي قلبك ولا يستخفنك الذي بلغك أنا الذي أقول (الأبيات التى بها اشاهدنا) . الأغانى، مصدر سابق ، ج١٢ ١٢٢

(٢)أبان اللاحقي؟ - ٢٠٠ هـ / ؟ - ٨١٥ م أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي.شاعر مكثر من أهل البصرة، نسب إلى جده، وكان أبو جده (عفير) من الموالي.انتقل أبان إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، فأكثر من مدحهم، وخص بالفضل بن يحيى، ونظم لهم "كليلة ودمنة" شعراً. واتصل عن طريقهم بالرشيد، فكان من شعرائه.له أخبار، وهجاه أبو نواس وغيره. الأغانى، مصدر سابق ، ج٢٣ ص ١٦٤

وأما، ابن مكنسة فينحو به نحو الغزل ، فقد استبد به الشوق، وطال الفراق، فلو بكى لاستغرق النيل بدموعه، يقول(١) :

أقولُ وَمَجْرَى النيلِ بيني وبينكم ∴ ونارُ الأسَى مشبوبةٌ بضلوعي
تَرَاكمْ علمتمْ أنّني لو بَكَيْتُكُمْ ∴ على النيل لاستغرقْتُهُ بدموعي

أما أبو الرقعمق(٢) فيمزج بين عواطفه فى الحنين إلى مصر وبين اللحظات الحلوة السعيدة التى يحققها الأنس بالنيل ، والطبيعة الغناء من حوله :

لا تكذبن فما مصر وإن بعدت ∴ إلا مواطن أطرابي وأشجاني
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت ∴ ورق الحمام على دوح وأغصان

وبعد هذا العرض لاستخدام المفردة عند هؤلاء الشعراء وكما رأينا فجلهم من الشعراء الكبارفى خريطة الشعر العربى ، ومع ذلك أتت سياقات المفردة محدودة ، وذلك راجع إلى أن هؤلاء الشعراء ، لم يكونوا فى محيط الأثر الاجتماعى والنفسى الذى حملته المفردة فى محيطها المصرى، فغربة هؤلاء الشعراء عن الأجوء النفسية

---

(١)خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني الكاتب ، تحقيق: محمد بهجة الأثري ، المجمع العراقي ، وزارة الإعلام العراقية. وابن مكنسةهو: إسماعيل بن محمد، أبو طاهر المعروف بابن مكنسة. شاعر مكثر، من أهل الإسكندرية، أورد العماد الأصفهاني مختارات حسنة من شعره. توفي عام ٥١٠ هـ ، عده العماد من شعراء مصر وقال: إن الأفضل جفاه بسبب هذين البيتين (الخريدة – قسم مصر ٢ ص ٢٠٣.

(٢)أبو الرقعمق . ؟ – ٣٩٩ هـ / ؟ – ١٠٠٩ م أحمد بن محمد الأنطاكي.شاعر فكه، تصرف بالشعر جداً وهزلاً ومجوناً.وهو أحد شعراء اليتيمة، ومن المداح المجيدين.أصله من أنطاكية، وأقام بمصر طويلاً يمدح ملوكها ووزراءها وتوفي فيها.له كتاب (رستاق الاتفاق). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبى ، مصدر سابق ، ج١، ص٣٧٩،

والاجتماعية المصرية ، وتمثل البعد التاريخى للمفــردة ودلالاتهــا ، أسقط المفردة فى الاستعمال ، وهو كثرة ماء النيل تستخدم إيجابا فى المدح وسلبا فى الهجاء ، فلم يكن لهم أن يستشعروا دلالات أخرى ، تخرج بهم على سياق آخر، فهم بعيدون عن الوعى بمعطياته كما هو الحال فى الذاكرة المصرية، ومن ثم لم يحفلوا به (فكان وحيه ضعيفا إلى الأدباء على الرغم من قوته وسحره ، وخيراته ووضوح أثاره ، واختلاف أحواله على مدى العام)(١)، وهكذا رأينــا هــذه الطاقــات الشعرية بعيدة عن زخم دلالات المفردة ، كما سنرى ذلك كلما تابعنــا صفحات البحث للأمام .

---

(١) الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين ، عبد الرازق حميدة . مكتبة الأنجلو المصرية.1951 , .ص٢٨٥

المبحث الثانى
تطور سياق المفردة
فى الشعر المصرى
فى العصر الوسيط

أولا: بين الصنعة والعفوية:

وبعد أن صارت العربية لسان المصريين وانتشرت انتشارا واسعا، وأضحت لغة المصريين الأدبية، استخدموا مفردة النيل فى سياقات جديدة من زوايا مختلفة، وبافتنان خاص بكل منهم، صحيح أن الشعر العربى كانت سوقه فى طريقها للبوار؛ إلا أن مصر قد أصبحت ميدانا له ، فتمصر الشعر بمصرية الشعراء، فألفينا اهتماما بمفردة النيل ، وكثرة ورودها على ألسنة الشعراء، فدخلت المفردة فى سياق الشوق لمكان عاودهم الحنين إليه، أوطبيعة النيل، مثل الحديث عن فيضانه ، أو السفن الجارية على صفحته، إلا أنه لضعف السليقة ، وما أصاب القريحة فى هذه المرحلة من سقم تعبيرى عم الشعر العربى فى جميع الأقطار ، كانت الدلالات التعبيرية المسوق إليه المفردة ، رغم كثرة جرياتها ووردها فى بنياتهم الشعرية غير ذى قبل ، إلا أنها قد اصطبغت بطابع الصنعة السائد ، قد تقترن حينا ببعض من العواطف أو الانفعالات النفسية قصيرة النفس ، غير أنها مثقلة بركام المحسنات البديعية ، والأصباغ اللفظية التى أصابت الشعر فى تلك المرحلة ، وسوف نحاول استعراض بعض من هذه الأمثلة للوقوف على ما قلناه، يقول الوزير المغربى(١) :

---

(١) الوزير المغربي٣٧٠ – ٤١٨ هـ / ٩٨٠ – ١٠٢٧ م الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم المغربي. وزير، من الدهاة، العلماء الأدباء، ، ولد بمصر، وقتل الحاكم الفاطمي أباه، فهرب إلى الشام

تركتُ بشطِّ النيلِ لي سكناً فردا ∴ حبستُ عليه الدمعَ أن يطأ الخدا

فالوزير يبكى داره المهجور بشط النيل ليجعل ذلك مدخلا لبث لواعج الشوق والصبابة لساكنيه ، ولعل ذلك أقل تكلفا من قوله:

صبغت بياضَ النيل حم ∴ رة وردةٍ في وجنتيه

ومحمد الموقفى(١) يصف منظرا طبيعيا النيل جزء منه حين يقول :

عَلى رِياضٍ مِنَ النُّوارِ زاهِرَةٍ ∴ تَجري الجَداوِلُ مِنها بَينَ جَنّاتِ
كَأَنَّ نَبتَ الشَّقيقِ العُصفُرِيِّ بِها ∴ كاساتُ خَمرٍ بَدَت في إثرِ كاساتِ
كَأَنَّ نَرجَسَها في حُسنِهِ حَدَقٌ ∴ في خُفيَةٍ تَتَناجى بِالإِشاراتِ

سنة ٤٠٠هـ، ورحل إلى بغداد، ، وتقلبت به الأحوال إلى أن استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد، عشرة أشهر وأياماً، واضطرب أمره ، فكتب الخليفة إلى قرواش بإبعاده، ففعل، وأقام بميافارقين إلى أن توفي، وحمل إلى الكوفة بوصية منه فدفن فيها. الأعلام للزركلي/ مصدر سابق، ح٢ ص٢٤٥ وترجمته وأشعاره موجودة فى بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، تحقيق سهيل زكار / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٢٥٤٢ ، وما بعدها

(١) محمد الموقفي ؟ - ٢١٥ هـ / ؟ - ٨٣٠ م محمد بن عاصم الموقفي، أبو الفرج. من شعراء اليتيمة، مصري، في شعره رقة، وإجادة الوصف.كان يكثر من وصف الأديرة ومحاسنها، نسبته إلى الموقف محلة كانت بفسطاط مصر.وقد ارتاب الدكتور إبراهيم النجار بما أورده الزركلي في ترجمته : وذهب إلى أنه خلط بين الشاعر وسميّه محمد بن عاصم بن جعفر المغافري المصري وهو من رواة الحديث. اليتيمة ، مصدر سابق ج١ ٥١٣ والأبيات في اليتيمة ص٥١٧ واتفق معه على باقي الترجمة ، ويرجح النجار أن الشاعر هو أبو الفرج الموقفي المصري كما ذكر فؤاد سزكن ، وأنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث. والمُسْتَلْئم: لابسُ عُدَّةِ الحَرْبِ

كَأَنَّما النيلُ في مَرِّ النَّسيمِ بِها ∴ مُستَلئِمٌ في دُروعٍ سابِرِيّاتِ

ولست أرى إلا مهارة مصطنعة فى حشده كل هذه التشبيهات فهى معا لا تعطينا لوحة متكاملة إذا أضفنا الجندى الحارس المتحفز لملاقاة الطبيعة وقهرها . وأما ابن أبى حصينة(١) فقد أطل من عل على النيل ، فإذا هو متخلل فسطاط مصر ممسوك بين شطآنه بقراب الأرض :

أَقُولُ وَقَد أَشرَفتُ ذاتَ عَشِيَّةٍ ∴ عَلى النيلِ مِن إِحدى الهِضابِ الشَواهِقِ
وَمِن دُونِها فُسطاطُ مِصرَ وَذاخِرٌ ∴ كَأَنَّ بِشَطَّيهِ مُسُوكَ الخَرائِقِ

أما القاضى الفاضل(٢) ، يتشوق إلى نهر النيل عند وصوله إلى نهر الفرات ، فهو ظامئ لا يروى الفرات غلته ، طالما أن ماء النيل ليس بحوزته ، ووادى النيل ليس بقربه ، يقول :

---

(١) ابن أبي حصينة هو : أبو الفتح الحسن بن عبدالله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة الشامي، الذي ينتمي إلى العصر الفاطمي، كان شاعرًا من الأمراء، ولد ونشأ في معرة النعمان بسورية، وقد وُلِد قبل (٣٩٠هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦ أو ٤٥٧هـ)، تبعًا لرواية المؤرخ ياقوت الحموي، معجم البلدان × مصدر سابق ج٦ ص١٧٧ .

(٢)القاضي الفاضل ، ٥٢٩ – ٥٩٦ هـ / ١١٣٥ – ١٢٠٠ م ، عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي. أديب وشاعر وكاتب ولد في عسقلان وقدم القاهرة في الخامسة عشرة من عمره في أيام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وعمل كاتباً في دواوين الدولة ولما ولي صلاح الدين أمر مصر فوض إليه الوزارة وديوان الإنشاء ، ولما مات السلطان سنة ٥٨٩ هـ أثر اعتزال السياسة إلى أن مات في السابع من ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ. له رسائل ديوانية في شؤون الدولة، ورسائل إخوانية في الشوق والشكر، وديوان في الشعر، وله مجموعات شعرية في كتب متفرقة من كتب التراث.

بـــالله قـــل للنيـــل إننـــــــى ∴ لم أشـف مـن مـاء الفـرات غلـيلا
وســل الفــؤاد فإنــه لى شــاهد ∴ إن كــان طرفــى بالبكــاء بخــيلا

تاريخ الإسلام – الذهبي – ج ٤٢ ص٢٤٧ والأبيـــات مـــذكورة هناك.

وابن قلاقس(١) يرى الشمس تغرب خلف النيل مخلفة حمرة الشفق فاجتمع النقيضين الماء والنار فهل احترقت من غرقها، أو غرقت فى احتراقها :

انظرْ إلى الشمس فوقَ النيلِ غاربةً ∴ واعجَبْ لما بعدَها من حُمرةِ الشفَقِ
غابتْ وأبقتْ شعاعاً فيه يخلفها ∴ كأنّها احترقتْ بالماءِ في الغرقِ

ثانيا : الروح المصرية :

وسوف هنا مع نماذج خطت خطوات إيجابية ، فى معرفتها لدلالات المفردة ، ومن ثم سنجد أختلافا فى سياقات التعبير .

نبدا مع تميم الفاطمي(٢) فيقدم لوحتين مختلفتين تدلان على تعلق به النيل ذلك الملك الذى عبأ جيشه لخوض معركة ، فأمواجه كتائب تتدافع ، وخلجانه مدائن فتحت ، وتياره الجارف كالقائد الحنق على أعدائه ، ولعله يصور أيام الفيضان (٣):

---

(١)ابن قلاقس ٥٣٢ – ٥٦٧ هـ / ١١٣٨ – ١١٧٢ م نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي أبو الفتوح الأعز الإسكندري الأزهري.شاعر نبيل، من كبار الكتاب المترسلين، كان في سيرته غموض، ولد ونشأ بالإسكندرية وانتقل إلى القاهرة، فكان فيها من عشراء الأمراء. ترجمته فى الأعلام ، مصدر سابق ، ج٨ ص٢٤ والأبيات فى ديوانه ،مراجعة / خليل مطران ، مطبعة الجوائب ١٩٠٥/١٣٢٣ ، ص٧٥ .

(٢) تميم الفاطمي ٣٣٧ – ٣٧٤ هـ/٩٤٨ – ٩٨٤م تميم بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي، أبو علي. أمير كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، فربي في أحظان النعيم، ومال إلى الأدب، فنظم الشعر الرقيق، وكان فاضلاً. لم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار، وتوفي بمصر.له(دبوان شعر ــ ط)

(٣) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، تقديم/ إبراهيم الدسوقى جاد الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣، سلسلة الذخائر٨٤، ص١٣٩

انظر إلى النيلِ قد عبّا عساكِره ∴ من المِياهِ فجاءت وهيَ تَستَبِقُ

كأنّ خلجانه والماءُ يأخذُها ∴ مدائنٌ فتحت فاحتازها الغرق
كأن تياره مَلَك رأى ظفَرا ∴ فكّر إثرَ الأعادي محنق نزِق
كأن ماء سواقيه لناظِرِها ∴ شهب الخيولِ إذا ما حثّها العَنَق
فاشرب مُغَنّى فإن اللهو مُنبَسِطٌ ∴ واطرب مُهَنّا فهذا منظر أنِق

ويراه فى تماوجه معاطف لراقصة تتمايل مع حركاتها(١):

تَظَرتُ إلى النيلِ في مَدّه ∴ بموج يزيد ولا ينقصُ
كأن معاطفَ أمواجِه ∴ معاطفُ جاريةٍ ترقصُ

فيرى فى النيل أنسه وحبوره ، ويرى فيه ذاته وحضوره ، فلم يعد التعبير سطحيا لا يلامس الذات بل ينبع منها نبع ارتباط وانتماء، وهكذا بدأ الإنسان المصرى يتجاوب، بأسلوبه الأدبي، وذوقه الفني، مع روافد ثقافته، ومعطيات مجتمعه ، يتفاعل الأديب مع منجات ثقافته الخاصة، ويصورها تصويرا إنسانيا يقدِّم به موقفه من الحياة، وعيه بمفرداتها. ومنها النيل هو منبع الخصب ، تتشكل على ضفافه ملامح المصريين الخاصة من خلال تشكيل تشكيل معارف تنبثق من حياتهم ، وتدخل رصيدهم المعرفى ، ومن ثم المكون الدلالى والنتاج الإبداعى ومن ثم وعيهم بالذات والعام فى الحياة والكون، هذا لايعنى أن الكل قد أصبح على وعى بدلالات المفردة وسياقاتها، فهذا ابن نباتة المصري(٢) يعود النيل عنده للحلبة الأولى فهو وسيلته وحيلته

---

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، المصدر السابق، ص٧٨
(٢) ابن نباتة المصري٦٨٦ - ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ - ١٣٦٦ م محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين.شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة.وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة.سكن الشام سنة ٧١٥هـ وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها فكان يتوجه

ليخلع على الممدوح من صفات الكرم ، ففضل ممدوحه فى مصر زاد على فضل النيل وعدله أغنى عن أنواء الشام ، يقول(١) :

يقوم مقام النيل في مصر فضله ∴ اذا جرّت الاقلام تلك الاصابع
ويغني عن الأنواء في الشام عدله ∴ وعدل الفتى للخصب نعم المزارع

ورغم سخف هذه المبالغات، إلا أن الذى يعنينا أن النيل أضحى حاضرا فى اللغة الشعرية وصارت ودخلت مادته اللغوية إلى قاموس الشعراء، مرة عفوية تنبع من الإحساس بالنتماء والامتلاك، وأخرى تلبس رداء التأنق، فيخرجها البهرج الزائد؛ بساطة الواقع، وعمق الحس، ودفء المشاعر .

أما البهاء زهير(٢) فيقدم شيئا مختلفا فى المضمون فهو عن النزهات النيلية وجزيرة الروضة ، ومباهج الطبيعة التى أمد الله بها مصر فى لوحة شعرية جميلة غاب عنها التكلف وحفلت بالروح المصرية الأصيلة (٣):

فَرَعى اللّهُ عَهدَ مِصرٍ وَحَيّا ∴ ما مَضى لي بِمِصرَ مِن أَوقاتِ
حَبَّذا النيلُ وَالمَراكِبُ فيهِ ∴ مُصعِداتٍ بِنا وَمُنحَدِراتِ

فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن. وأورد الصلاح الصفدي في ألحان السواجع، مراسلاته معه في نحو ٥٠صفحة . له (ديوان شعر –ط) و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون –ط). (سجع المطوق –خ) تراجم وغيرها.

(١) ديوان ابن نباتة المصرى ، ص ٣٠٣.

(٢) بهاء الدين زهير ٥٨١ – ٦٥٦ هـ / ١١٨٥ – ١٢٥٨ م زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي بهاء الدين. شاعر من الكتاب، ولد بمكة ونشأ بقوص، واتصل بالملك الصالح أيوب بمصر، فقرّبه وجعله من خواص كتّابه وظلَّ حظيًا عنده إلى أن مات الصالح فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر

(٣) ديوان بهاء الدين زهير ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٠ ص٥٥

هاتِ زِدني مِنَ الحَديثِ عَنِ النـ ـيلِ وَدَعني مِن دِجلَةٍ وَفُراتِ
وَلَيالِيَّ في الجَزيرَةِ وَالجـ ـزَةِ فيما اِشتَهَيتُ مِن لَذّاتِ
بَينَ رَوضٍ حَكى ظُهورَ الطَواوي سِ وَجَوٍّ حَكى بُطونَ البُزاةِ
حَيثُ مَجرى الخَليجِ كَالحَيَّةِ الرَق ـطاءِ بَينَ الرِياضِ وَالجَنّاتِ

وهو لايلبث يذكر بهاه لهذه البلاد وأهلها ، وكيف يرتاح إلى أهل الصعيد ، ويهفو إلىايام مقامه فى رحابهم ، ولاينسى أن يذكر بأن النيل هبة هؤلاء القوم الكرماء (١):

وَيَرتاحُ قَلبي لِلصَعيدِ وَأَهلِهِ وَعَيشٍ مَضى لي عِندَهُم وَمَقامي
وَأَهوى وُرودَ النيلِ مِن أَجلِ أَنَّهُ يَمُرُّ عَلى قَومٍ عَلَيَّ كِرامِ

(١)ديوان بهاء الدين زهير ، المصدر لسابق ، ص٥٣٠

المبحث الثالث
سياق المفردة فى
الشعر المصرى الحديث

ظفر النيل بعناية الشعر المصرى ، فصوروا الشعراء شـواطئه وجداوله ، والأشجار والرياض من حوله ، والسفن السـابحة فيـه، وصوروا مرآه فى كل زمن وعند ناحية وزاوية ، وبلغ بهم الوله به فصوروا البدر والكواكب والشموع المترائية فى مائه ، وأسبغوا عليه أكرم الصفات وأشرف المحامد(١) (ألهم نيل مصر الشـعراء خيـالا خصبا ، فصوروه فى شعرهم تصويرا أسـقطوا فيـه علـى النيـل مشاعرهم وعواطفهم)(٢)٠

ولم يقف الشعراء عند حدود ذلك بل تجـاوزوه حـين ارتـبط بالحس الوطنى والمشاعر الروحية ، فقد تفرد نهر النيل مـن بـين أنهار الدنيا بهذه الشخصية الأسـطورية التـى تجـاوزت طبيعتـه الجغرافية إلى نوع من إثارة الخيال الدينى مرة والتاريخى والقومى مرة أخرى، بل لقد أصبح عنصرا من عناصر التكـوين الاجتمـاعى لشعوب وادى النيل(٣) .

ومن هنا تنوعت السياقات التعبيرية التى بـرزت فـى النتـاج الشعرى المتعلق به، فمن صور الطبيعة المبهـرة المتنوعـة إلـى المشاعر الوطنية المتقدة ، إلى العلاقـات الاجتماعيـة والعواطـف الإنسانية .

---

(١) شعر الطبيعة فى الأدب العربى . د/ سيد نوفل ص٣٠٢

(٢) شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابـع الهجـرى : عوض على الغباوى ص٦٤

(٣) تجارب نقدية وقضايا أدبية : محمد إبراهيم أبوسنة .سلسلة إقـرأ يناير سنة ١٩٨٦م ص ١٣٧

فالنيل عند (إسماعيل صبرى)(١) شراب مقدس لا يحل إلا لكل وطنى غيور أما ما عاداه فليس من حقه أن يطعمه أو يقترب منه(٢):

لا تَقرَبوا النيلَ إن لم تَعمَلوا عملاً ∴ فَماؤهُ العذبُ لم يُخلَق لِكَسلانِ
رِدوا المَجرَّةَ كَدّاً دونَ مَوردِهِ ∴ أو فَاطلُبوا غَيرَهُ رِيّاً لِظَمآنِ

وحافظ إبراهيم (٣): ــ يهفو إلى اليوم الذى لا يطعم ، ماء النيل إلا كل غيور عليه ، مراقب لله فيه ، يقول :

مَتى أرى النيلَ لا تَحلو مَواردُهُ ∴ لِغَيرِ مُرتَهِبٍ لِلّهِ مُرتَقِبِ
فَقَد غَدَت مِصرُ في حالٍ إذا ذُكِرَت ∴ جادَت جُفوني لَها بِاللُؤلُؤِ الرَطِبِ

وحين مات الزعيم محمد فريد غريبًا عن وطنه نهاية عشرينيات القرن الماضي، لم يجد الشاعر حافظ إبراهيم سوى نهر النيل ليبثّه موجدته ، فقد جل الأسى ، وعظم الخطب ، وما عاد يكفى الدمع ، فلعله نفد من كثرة البكاء، أو تجمد من هول الصدمة(٤):

أيُّها النيلُ قَد جَلَّ الأسى ∴ كُن مِداداً لي إذا الدَمعُ نَفِد

---

(١) اسماعيل صبري ١٢٧٠ - ١٣٤١ هـ / ١٨٥٤ - ١٩٢٣ م من شعراء الطبقة الأولى في العصر الحديث، امتاز بجمال مقطوعاته وعذوبة أسلوبه، وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية، تعلم بالقاهرة، ودرس الحقوق بفرنسا، وتدرج في مناصب القضاء بمصر. توفي بالقاهرة ورثاه كثيرون من الشعراء والكتاب. وجمع ما بقي من شعره بعد وفاته في (ديوان - ط).

(٢) ديوان إسماعيل صبرى /شرح / أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/١٣٥٧ه /١٩٣٨م ، ص١٧٢ .

(٣) ديوان حافظ ، أحمد أمين وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، ج٢ ص١١٨ .

(٤) ديوان حافظ ، مصدر سابق ، ج٢ ص١٩٧ .

أما(أحمد محرم) فالنيل عنده الوطن ، يضيف إليه كل رمز للوطنية وطالما هو يمثل الوطن فحقيق أن يظل لأبنائه ، يصونوه ويحمونه ، ولا يرونه لأحد سواهم (١) :

يا حماة النيل حسبي وكفى ∴ أيظل النيل للمستعمرين
يا حماة النيل صونوا ملكه ∴ وأرى النيل لقوم آخرين
بشروا يا قوم إني لأرى ∴ في مصير النيل رأي المنذرين

ومن ثم فمن لم يبذل النفس فى سبيله، ويسترخص الروح، فهو للهوى مدع فلوادى النيل حق، ونحن للنيل أهل يقول أحمد محرم(٢):

ولن يقضي الإنسان حق بلاده ∴ إذا هو لم يبذل لها النفس فاديا
شغفنا بوادي النيل إذ نحن أهله ∴ فأحبب بنا أهلاً وبالنيل واديا
أما ودموع المدعين به الهوى ∴ لقد كدن يضحكن القلوب البواكيا

فلن نرضخ للمستعمر ولو صنع المستحيل بنا، فنحن دائما سنكون له بالمرصاد ، يقول حافظ (٣):

حَوِّلوا النيلَ وَاحجُبوا الضَوءَ عَنّا ∴ وَاطمِسوا النَجمَ وَاحرِمونا النَسيما

وكيف يكون القرار ؟ والأهرام مرتجة الذرى ، وأمر النيل فوضى ، رماه الرامون منكل جانب ، فالأمر أشد ، ولم يعد من مدعاة للنكوص أو التردد(٤) :

أنسكن والأهرام مرتجة الذرى ∴ ونرضى وأمر النيل فوضى مبدد

---

(١) ديوان أحمد محرم / تحقيق محمود أحمد محرم / دار الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١/١٤٨٤ج١ ص١٨٩
(٢) ديوان أحمد محرم، مصدر سابق ، ج١ ص١٠١
(٣) ديوان حافظ ، مصدر سابق ، ج٢ ص١٠٨ .
(٤) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج١ ص ٢٤٩

رمى جده قومٌ تظل سهامهم ∴ بأحشائه منها مصيبٌ ومقصد
إذا ما استقرت في الجوانح هاجها ∴ بكاء الثكالى والرنين المردد

ويتساءل حافظ إبراهيم ، كيف نعيش فى حمى النيل صرعى ، ننتظر قضاء الله فينا ، وكيف للنيل الذى بين أيدينا يروى الخلائق من حولنا، ونمسى عطشى، ولانطعمه، فكأنما حرم على أبنائه(١):

وَبَنو مِصرَ في حِمى النيلِ صَرعى ∴ يَرقُبونَ القَضاءَ عاماً فَعاما
أَيُّها النيلُ كَيفَ نُمسي عِطاشاً ∴ في بِلادٍ رَوَّيتَ فيها الأَناما

ويتعجب أحمد محرم من عقوقنا للنيل ، حين نتخاذل عن مقاومة المحتل أو نتقاعس عن حقوق الوطن ، وهو بر كريم بنا ، يمنحنا الحياة ، وفى مقدوره حرماننا منها ، يقول(٢):

عجباً لهذا النيل كيف نعقه ∴ ويدوم منه البر والإكرام
لو كان يجزينا بسوء صنيعنا ∴ أودى بهاتيك النفوس أوام

والملاحظ أن النيل تحول عند الشعراء إلى معادل لفظى لكلمة مصر يستعيضون بذكره عنها ، فالنيل هو المعرف لها ، وهى المعروفة به ، وهو المرادف لمعنى وطنى ، يستحضرون لفظه بديلا له ، فالنيل هو الوطن ، فتراه ينسب له كل شىء ويضيفه إليه ، يدخل النيل على نحو ما ذكرنا فى سياقات شعرية متعددة(٣):

الشَعبُ يَدعو اللَهَ يا زَغلول ∴ أَن يَستَقِلَّ عَلى يَدَيكَ النيلُ
أضحَت رُبوعَ النيلِ سَلطَنَةً
هَذا فَتى النيلِ هَذا المُفرَدُ العَلَمُ

---

(١) ديوان حافظ ، مصدر سابق ، ج١ ص٣١٧ .
(٢) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج١ ص٧٨
(٣) ديوان حافظ ، مصدر سابق ، ج١ ص٣١٧ .

قُل لِصَبِّ النيلِ إن لاقيتَهُ
يا غَريبَ الدارِ والقَبرِ وَيا سَلوَةَ النيلِ إذا ما الخَطبُ جَ
هَذا زَعيمُ النيلِ حَلَّ عَرينُهُ
عارٍ عَلى اِبنِ النيلِ سَبّاقِ الوَرى
خَدَما رُبوعَ النيلِ في عَهدَيهِما

فربوع النيل ، وسلوة النيل ، زعيم النيل ، وابن النيل ، فالنيل هو المكان والوطن ، والخارطة ، والدولة ....الخ.

وهذا أحمد محرم (١):

حماة النيل كم بالنيل طافِ
حماة النيل كم نفسٍ تعاني
يا بني النيل ما عسى أن تريدوا
النيل يعلم والمواقف وضح
طبيب النيل هل للنيل شاف
يا وفود النيل ترتج القر
سائلوا النيل عن استقلالكم
صفقة للنيل في آثارها
لَقد ضاقَ حِلمُ النيلِ عَن جَهلِ فِتيَةٍ
وَلكِن أساءَ النيلَ صُنعاً وَأجرَما
ما أعجَبَ النيلَ ما أبهى شَمائِله
يا حماة النيل حسبي وكفى
في مصير النيل رأي المنذرين

فالنيل الحمى، والأب، وحامل حلمنا، والمضيف والمصي...الخ.

فكأن النيل عندهما هو القدر والمقدور، وهو الحلم والغاية والأمل، وهو المطلب والمورد، والوطن الذى ندفع عنه ، والملاذ الذى نلجأ إليه.

ويتداخل النيل عندهم فى نواحى الحياة على امتدادها فهو لا يفجر الشعور القومى فحسب؛ بل يتداخل فى كل مناحى الحياة المتصلة بالإنسان المصرى، ينبغى أن يستلهم حكمته ، فهو عند

---

(١) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، مواضع مختلفة فى ديوانه

جبران خليل جبران؛ يعلمنا ألا نستهين بالقليل ، فقطرات النيل حين تآزرت صنعت واديا، روت قفره، وأخرجت جنانه ، يقول(١):

مَا النِّيلُ إلاَّ قَطَرَاتٌ إِلَى ∴ وَادِيهِ مِنْ أَقْصَى الرُّبَى تَرْتَمِي
لَوْ لَمْ يُؤَلِّفْ بَيْنَهَا لَمْ تَكُنْ ∴ جَنَّاتِ مِصْرٍ غَيْرَ قَفْرٍ ظَمِي

أماأحمد الكاشف(٢) فيرى أن النيل ألف الأمة المصرية التى أمنت حدوده ، ففاض خيره عليها :

ألف النيلُ أمةً أمّنتْهُ ∴ في ينابيعه وفي أجزائه
وأمدّ الوجود من شاطئيه ∴ بِجَنَى غرسه وفائض مائه

أما أحمد محرم ، فالنيل حكيم ضاق صدره بصنيعنا، وعقوقنا التى أساءت إليه، وقد أسأنا التصرف وأجرمنا بحقه، وكفرنا بنعمته علينا، إذ لم نتصدى للعوادى التى عصفت بأرضه بسوء صنيعنا، يقول(٣):

حَلَفتْ بِمِصرٍ وَالعَوادي آوَاخِذٌ ∴ بِحَوبائِها يَرمينَها كُلَّ مُرتَمي
لَقَد ضاقَ حِلمُ النيلِ عَن جَهلِ فِتيَةٍ ∴ جَزوهُ مِنَ الحُسنى عُقوقاً وَمَلأما

---

(١) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج١ ص١٢١
(٢)أحمد الكاشف ١٢٩٥ - ١٣٦٧ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٤٨ م أحمد بن ذي الفقار بن عمر الكاشف. شاعر مصري ، من أهل القرشية (من الغربية بمصر)، مولده ووفاته فيها قوقازي الأصل. قال خليل مطران: الكاشف ناصح ملوك، وفارس هيجاء ومقرع أمم، ومرشد حيارى. كان له اشتغال بالتصوير ومال إلى الموسيقى ينفس بها كربه. واتهم بالدعوى إلى إنشاء خلافة عربية يشرف عرشها على النيل فتدارك أمره عند الخديوي عباس حلمي، فرضي عنه، وكذبت الظنون. وأمر بالإقامة في قريته (القريشية) فكان لا يبرحها إلا مستتراً. (له ديوان شعر - ط). ديوان الكاشف /، دراسة وتحقيق / محمد إبراهيم الجيوشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ، الأبيات ج١ص٤٥٣
(٣) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج٢ص٢٢١

وَمـا زالَ مَكفـورَ الصَـنيعِ كَأَنَّمـا ∴ يَجـودُ بِـهِ كَرهـاً وَيُسـديهِ مُرغَمـا
وَلا جـرمَ لِلمِصـرِيِّ فيمـا تَـأَوَّلوا ∴ وَلَكِـن أَسـاءَ النيـلُ صُـنعاً وَأَجرَمـا
تُفـيضُ خِـلالُ السـوءِ مِنـهُ فَتَرتَـوي ∴ نُفـوسُ بَنيـهِ لا اِرتَـوَينَ مِـنَ الظَمـى
أَفي كُـلِّ يَـومٍ لِلغُـواةِ جَريـرَةٌ ∴ تُعيـدُ الرَجـاءَ الطَلـقَ أَربَـدَ أَقتَمـا

ومن هنا يتحتم عليكم، أن تتحولوا إلى الجد، فحسبكم ما مضى من خذلان وتقاعس، حتى تنقشع الغمة ولا تتمادى، يقول محرم(١):

ملأوا الأرض يا بني النيل سعياً ∴ واغمروا العالمين علماً وفضلا
تجعلون الهوى المضل ديناً ∴ وتعدون باطل الأمر شغلا
أحسبتم حرب الليالي سلاماً ∴ وظننتم ظلم الحوادث عدلا
اتبعوا الجد واعصبوها برأسي ∴ حسبكم ما مضى من الدهر هزلا
إن بالنيل غمرةً تتمادى ∴ وأرى كل غمرةٍ تتجلى

فأغيثوا مصر واستبقوا بنيها ، يقول محرم (٢):

حماة النيل كم بالنيل طاوٍ ∴ يريد علالةً ما يحتويها
وصادي النفس لو أن المنايا ∴ جرت ماءً لأقبل يحتسيها
وعاري الجنب يغضي من هوانٍ ∴ وكان لباسه صلفاً وتيها
حماة النيل كم نفسٍ تعاني ∴ منيتها وتدعو منقذيها
أنيلونا الديات ولا تكونوا ∴ كمن يردي النفوس ولا يديها

فقد وضح السبيل فليس لنا نتردد :

النيل يعلم والمواقف وضحٌ ∴ والدهر يخبر والممالك شهد
هل لامرئٍ في الأرض بعد بلاده ∴ مجدٌ يزين به الحياة وسؤدد

---

(١) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج٢ ص٢٥١
(٢) ديوان أحمد محرم ، مصدر سابق ، ج١٢ ص٢٢١

أعلى الحماية يحرصون وغيرها ∴ أسمى لأحرار الرجال وأمجد

ومن لم يبن مجده ، فإنما يبنى الزوال ، فما أضاع الحق غير الأدعياء:

إذا لم تبن قومك حين تبني ∴ فأنت وما تشيد إلى لعفاء
حماة النيل كيف بنا إذا ما ∴ أضاع النيل وفد الأدعياء

ويظل النيل فى وجدان الشعراء هو المعبر عن حال مصر ، يحمل العلة إن أصابها الداء ، ويتغير طعمه إن نالها الأعداء ، وحانت لحظ ة الكماة للفداء ، يقول إبراهيم ناجي(١):

آجلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا ∴ فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى

أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُه ∴ تناوشه الفتاكُ لم يدعو شبرا

فهلا وقفتم دونها تمنحونها ∴ أكفاً كماء المزنِ تمطرها خيرا
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ ∴ على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا

ولا غرو أن يسقط الشعراء كل هذه المعانى على النيل ، فقد تحول إلى شخصية أسطورية اندمجت بالعقيدة وتآزرت معها ، حين تحول النيل إلى وطن ننتمى أليه ، وأب نجله ، ومعبود نعبده : يقول شوقى (٢) :

سَبَقَ النيلُ بالأبُوَّةِ فينا ∴ فَهوَ أصلُ وَآدَمُ الجَدُّ تالي
نحنُ مِن طينهِ الكَريمِ عَلى اللـ ∴ ـهِ وَمِن مائِهِ القَراحِ الزُلالِ

---

(١) دواوين إبراهيم ناجى / الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت لبنان ١٩٧٣، ص٤٦٧.

(٢)٦٨.الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان بغداد ١٩٦٧، ج١ص١٨٩

ويقول(١):

آلم نكُ مِن قَبلِ المَسيحِ إبنِ مَريَم ∴ وَموسى وَطَهَ نَعبُدُ النيلَ جارِيا

فَهَلّا تَساقَينا عَلى حُبِّهِ الهَوى ∴ وَهَلّا فَدَيناهُ ضِفافاً وَوادِيا

ويقول إبراهيم ناجي(٢):

عبدوا النيل مذ قديم وألقوا ∴ كل عام له عروساً بكرا

مصر سحر ورقة وصفاء ∴ لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

ولأن(...الطبيعة المصرية لوحة غنية رائعة ، وشاها النيل منذ فجر الله ــ تعالى ــ ينابيعه فى هذا الوادى الخصيب ،بأصباغ فذة ، ألوان تثير شغف الفنان ، وتحرك فيه الميل إلى تصويرها فى فنه)(٣) فقد قدم الشعراء لوحات فنية لطبيع النيل الساحرة ، فالعين تستمتع بالنظر إلى المياه الجارية والأذن تصغى لسماع صوت الماء وهو ينحدر ، والبحر ابن الطبيعة الأكبر كما يقال(٤) . يقول محمود سامى البارودى(٥) :

حَبَّذَا النِّيلُ حِينَ يَجْرِي فَيُبْدِي ∴ رَوْنَقَ السَّيْفِ وَاهْتِزَازَ الْفِرِنْدِ

تَتَثَنَّى الْغُصُونُ فِي حَافَتَيْهِ ∴ كَالْعَذَارَى يَسْحَبْنَ وَشْيَ الْفِرِنْدِ

قَلَّدَتْهَا يَدُ الْغَمَامِ عُقُوداً ∴ هِيَ أَبْهَى مِنْ كُلِّ عِقْدٍ وَبَنْدِ

---

(١)٦٨.الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان بغداد ١٩٦٧، ج٤ص٥٥

(٢) دواوين إبراهيم ناجى / الأعمال الكاملة / مصدر سابق ، ص ٧٥٤.

(٣) ديوان أغانى الكوخ ص ٢٣٠.

(٤) راجع دراسات نقدية . مصطفى السحرتى ص: ١٠٩.

(٥) ديوان البارودى ، تحقيق الجارم ، وشفيق . ج١ ص٢١٧ . دار الكتب المصرية / ١٩٤٠ م .

ماء النيل الفضى فى اهتزازه ، حاكى السيف الصقيل فى لمعانه ، والغصون عذارى توشين بالورس الأحمر ، والغمام قلد جيدها عقودا زادت على الجمان أو العسجد، يقول نجيب الحداد(١):

أرض كساها النيل زخرف وجهه ∴ وأعار برد مياهه نسماتها

فبدت كان الارض وجه مليحة ∴ وكأنها خال على وجناتها

لِلّه روضتها وقد حيى الصبي ∴ أغصانها فحنت لها هاماتها

وتحدثت امواهها فوق الحصى ∴ توحي لطير اراكه نغماتها

والأرض من ظل الغصون كانما ∴ نثرت دنانير على جنباتها

فالأرض زخرفها، فبدت كالحسان مجلوة، وإن كان تشبيهه بالخال قد أفسد الصورة، ثم يستكمل باقى اللوحة فى صورة مصر، وقد أضحت روضة غناء، تتمايل غصونها وتناجى مياهها الطيور على أرائكها.

---

(١) نجيب الحداد - ١٣١٦ هـ / ١٨٦٧ - ١٨٩٩ م نجيب بن سليمان الحداد. صحفي أديب، له شعر، وهو ابن أخت الشيخ إبراهيم اليازجي.

ولد في بيروت، وتعلم بها وبالإسكندرية، وكان في هذه من كتاب جريدة (الأهرام) ومجلة (أنيس الجليس)، وأصدر مع آخرين جريدة (لسان العرب) يومية، ثم أسبوعية بالقاهرة، وعاد إلى الإسكندرية فتوفى بها.

يقول خليل مطران(١):

فَاضَ مَجْرَى النِّيلِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ∴ بَاسِطاً أَذْرُعَهُ لِلْمُسْتَقِينْ

يَحْمِلُ الخِصْبَ وَمَا عُنْصُرُهُ ∴ غَيْرُ مَا يُهْدِي مِنَ الكَنْزِ الثَّمِينْ

أَرْخَصَ العَسْجَدَ حَتَّى إِنَّهُ ∴ جَازَ فِي المَأْلُوفِ أَنْ يُسْمَى بِطِينْ

فَهْوَ فَوْقَ الثَّرْبِ تِبْرٌ ذَائِبٌ ∴ وَهْوَ لِلْوُرَّادِ سَلْسَالٌ مَعِينْ

فالنيل قد بسط ذراعيه لطا لبى السقيا ، يوزع من كنوز خيراته طميا زا د عن الذهب فى قيمته ، لأنه تبر هذه الأرض الذائب فى سلساله المتدفق، يقول أحمد محرم :

يا مِصرُ أَنتِ لِكُلِّ نَفسٍ مَطلَبٌ ∴ جَلَّ وَأَنتِ لِكُلِّ قَلبٍ مطمع

فِي كُلِّ مُطَّرَحٍ حَزِينٌ يَشتَكي ∴ وَبِكُلِّ مُضطَجَعٍ صَرِيعٌ يَفزَعُ

يَنسابُ فيكَ النيلُ مِلءَ عِنانِهِ ∴ فَالحُسنِ ينبتُ وَالملاحَةُ تَنبُعُ

حاباكِ مِن جَعَلَ المَحاسِنَ آيَةً ∴ لَكِ مِن رَوائِعِها الطِرازُ الأَبدَعُ

فمصر عنده هى التى تروح بجمالها عن كل مهموم ، وتؤمن كل مضطرب ، فحسنها يفتن ، وجمالها يخلب ، لأنها أية فى الحسن

---

(١) خليل مطران ١٢٨٨ - ١٣٦٨ هـ / ١٨٧١ - ١٩٤٩ م خليل بن عبده بن يوسف مطران.شاعر، غواص على المعاني، من كبار الكتاب، له اشتغال بالتاريخ والترجمة. ولد في بعلبك (بلبنان) وتعلم بالمدرسة البطريركية ببيروت، وسكن مصر، فتولى تحرير جريدة الأهرام بضع سنين.كان غزير العلم بالأدبين الفرنسي والعربي، رقيق الطبع، ودوداً، مسالماً له (ديوان شعر - ط) أربعة أجزاء توفي بالقاهرة.: رَبَّةَ الدَّوْلَةِ وَالجَاهِ المَكِينْ ، ديوان الخليل / دار مارون عبود ، بروت١٩٧٧ ، والأبيات الواردة فى ج٣ ص٣٣١

والإبداع، أحمد شوقى (١):

النيـــلُ العَـــذبُ هُـــوَ الكَـــوثَر ∴ وَالجَنَّـــةُ شَـــاطِئُهُ الأَخضَـــر
رَيّـــانُ الصَـــفحَةِ وَالمَنظَـــر ∴ مـــا أَبهـــى الخُلـــدَ وَمـــا أَنضَـــر
البَحـــرُ الفَيّـــاضُ القُـــدسُ ∴ الســـاقي النـــاسَ وَمـــا غَرَســـوا
وَهـــوَ المِنـــوالُ لِمـــا لَبِســـوا ∴ وَالمُـــنعِمُ بِـــالقُطنِ الأَنـــوَر

فالنيل نهر الجنة الكوثر، فلا عجب إن كتب له الخلد ، أو فاض بالخير ،فهو الساقى للغرس ، المنعم بالخيرات، من طعام وملبس . أحمد محرم ــ أراك على المغيب فهل ترانى .....

(١)٦٨. الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العـودة بيـروت / لبنـان بغـداد ١٩٦٧، ج٤ص١٩٥

المبحث الرابع
لوحات نيلية من الشمال والجنوب

ومن الشعراء من خص النيل بقصائد ؛ جعلها لوحات فنية حافلة بالصور والأخيلة ، قد يذكر المفردة صراحة ، وقد يستعيد من مخزون ذاكرته وفيض قريحته ،دلالاتها فى رسم لوحته ، فيتخطى السياق اللفظى إلى سياقات تحمل طوابع دلالية متعددة ، ولشوقي عدد من القصائد التي استلهم النيل فيها، في مقدمتها ملحمة النيل ، التى استلهم فيها الانسان المصرى فى وفائه وصبر وخلوده وما يمثله النيل له من قيمة، ثم كبار الحوادث في وادي النيل" التي جعل فيها حركة الزمن تتوازى مع حركة النيل ، ويتقاطع الزمان والمكان فى جدلية الفناء والخلود، تأتي بعدها قصيدته السينية ، بكل ماتطرح من إسقاطات الماضى وإحباطات الحاضر، وتكاد مفردة النيل ، تتصدرقامسه الشعرى فقد أوردها فى قصائده بما زاد عن ستين مرة تقريبا ؛ والتكرار فقط قد لايكون له من الأهمية إلا الحضور الذهنى لو لم يتجاوز التكرار إلى الرؤية والتوظيف..ولذا سنقف مع مشاهد من قصائده فى هذا الإطار: وأولى هذه اللوحات هى قصيدة طويلة قدمت فى لوحات متعددة صورة النيل (١) :

مِن أيِّ عَهدٍ في القُرى تَتَدَفَّقُ ∴ وَبِأيِّ كَفٍّ في المَدائِنِ تُغدِقُ

وَمِنَ السَماءِ نَزَلتَ أَم فُجِّرتَ مِن ∴ عَلياءِ جَنَّاتٍ تَجَرَّى وَتَرتَقي

وَبِأيِّ نَولٍ أَنتَ ناسِجُ بُردَةٍ ∴ لِلضَفَّتَينِ جَديدُها لا يُخلَقُ

وَبِأيِّ عَينٍ أَم بِأَيَّةِ مُزنَةٍ ∴ أَم أَيِّ طوفانٍ تَفيضُ وَتَفهَقُ

---

(١) الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ص٦٥

تَسْوَدُّ ديباجاً إذا فارَقتَها ∴ فَإذا حَضَرتَ إخضَوضَرَ الإستَبرَقُ

في كُلِّ آونَةٍ تُبَدِّلُ صِبغَةً ∴ عَجَباً وَأنتَ الصابِغُ المُتَأَنِّقُ
أَثَرُ الدُهورُ عَلَيكَ مَهدُكَ مُترَعٌ ∴ وَحِياضُكَ الشَرقُ الشَهِيُّ دُفَّقُ
تَسقي وَتُطعِمُ لا إناؤُكَ ضائِقٌ ∴ بِالوارِدينَ وَلا خُوّانُكَ يَنفُقُ
وَالماءُ تَسكُبُهُ فَيُسبَكُ عَسجَداً ∴ وَالأَرضُ تُغرِقُها فَيَحيا المُغرَقُ
تُعيي مَنابِعُكَ العُقولَ وَيَستَوي ∴ مُتَخَبِّطٌ في عِلمِها وَمُحَقِّقُ
فُتِنَت بِشَطَّيكَ العِبادُ فَلَم يَزَل ∴ قامٍ يَحُجُّهُما وَدانٍ يَرمُقُ
وَتَضَوَّعَت مِنكَ الدُهورِ كَأَنَّما ∴ في كُلِّ ناحِيَةٍ بَخورٌ يُحرَقُ

هذه اللوحة يقدم الشاعر خلالها، صورة النيل المتدفق عبر العصور، يوزع الخير على كل مكان حل به، وكما لا ندرى متى جاء؟ لا نعلم من أين أتى؟، ثمع أنه النساج الماهر، الذى يلبس الوادى، ديباجا وإستبرق أخضر، مرت عليه الدهور ، وهو الكريم المعطاء ، لا يكل عن العطاء ، أوينفد مخزونه ، فصار حديث الناس حتى أعيا الدهور وواحتارت العقول بين محبته واستكناه أسراره، فقدمه كائنا جبارا غامضا، وتسائل في إكبار عن منبعه، وفضله على مصر، وأهمل الصورة الثانية ، وهي ما يمارسه الناس من طقوس حياتهم اليومية على شاطئيه ، سواء أكان بالعمل والكدح والسعى وراء لقمة العيش ، أو أنه نهر وديع جميل يحمل همومهم فى أوقات فراغهم ، ونزهاتهم ، كما أهمل مظاهر الحياة الحديثة شاطئيه .

وتحدث عن عروس النيل فى لوحة أخرى(١):

وَنَجيبَةٍ بَينَ الطُفولَةِ وَالصِبا ∴ عَذراءَ تَشرَبُها القُلوبُ وَتَعلَقُ
كانَ الزِفافُ إِلَيكَ غايَةَ حَظِّها ∴ وَالحَظُّ إِن بَلَغَ النِهايَةَ مورِقُ
لاقَيتَ أَعراساً وَلاقَت مَأتَماً ∴ كَالشَيخِ يَنعَمُ بِالفَتاةِ وَتُزهَقُ

(١) من القصبدة السابقة ص٦٩

في كُـلِّ عـامٍ دُرَّةٌ تُلقـى بِـلا ∴ ثَمَـنٍ إِلَيـكَ وَحُـرَّةٌ لا تُصـدَقُ

وفى هذه اللوحة، يقدم العادة المصرية القديمة التى تعبر عـن امتنانهم لهذا النيل العظيم بتقديم قربان له يتمثل فى أجمـل فتيـات مصر عروسا تزف إليه ، وكيف تأصل هذا المعتقد فى الناس ، حتى إن هذه العروس سعيدة بترشيحها ، تغبطها باقى الفتيات ، ويحسدها البعض الأخر، كيف لا ؟ وهو المجد السامق الذى تهفو إليه النفوس وتتسابق ، وعلى جانب من اللوحة هناك المهرجان المقام ، والجموع الحاشدة المودعة ، والعروس مساقة لقضائها، تلقى بنفسـها بـين أحضانه .

رُقَّـتْ إِلى مَلِـكِ المُلـوكِ يَحُثُّهـا ∴ ديـنٌ وَيَـدفَعُها هَـوىً وَتَشَـوُّقُ
خَلَعَـتْ عَلَيـكَ حَياءَهـا وَحَياتَهـا ∴ أَأَعَـزُّ مِـن هَـذَينِ شَـيءٌ يُنفَـقُ

والقصيدة من مطولات شوقى التى أهداها للمستشرق الإنجليزى (مرجليوث)، كما اتضح من مقدمته النثرية للقصيدة، فقد خص النيل بها إلا أنها تعددت موضوعاتها ومشـاهدها علـى عـادة القصـيدة التقليدية، وإن حاول أن يربط بينها وبين موضوع القصيدة الأصلى ، وقدم القصيدة كلها فى إيقاع كلاسيكي نابع من التسـاؤلات الكبيـرة التي يطرحها، ووجدانه استتر خلف الصور البيانية، وصور الاستفهام والتوازن الذي يقيمه بين شطري البيت عـن طريـق التماثـل فـي العبارة، أو التقابل في الألفاظ .

وقد حظى النيل باهتمام أحمد شوقى من خلال لوحـات أخـرى وذلك عند حديثه عن جزيرة الروضة، ففى المقطع التـالى ، يرسـم لوحة حسية للخمائل وقد تخللتها شمس الأصيل بصفرتها فأضـحت خضرتها بين حواشى من الذهب، تعلوها روابى الزبرجـد، ويجـرى

تحتها النيل ناثرا فضته، وساكبا لجينه ، يضف عليها النسيم من نداوته مايملأ الجو طيبا، والنفوس رضا (١):

وَخَميلَةٍ فَوقَ الجَزيرَةِ مَسَّها ذَهَبُ الأَصيلِ حَواشِياً وَمُتونا
كَالتِبرِ أُفقاً وَالزَبَرجَدِ رَبوَةً وَالمِسكِ تُرباً وَاللُجَينِ مَعينا
وَقَفَ الحَيا مِن دونِها مُستَأذِناً وَمَشى النَسيمُ بِظِلِّها مَأذونا
وَجَرى عَلَيها النيلُ يَقذِفُ فَضَّةً نَثراً وَيَكسِرُ مَرمَراً مَسنونا

أما اللوحة الثالثة : ــ فقد جاءت فى قصيدته السينية التى قالها فى منفاه ، والتى أفصح فيها عن تشوقه إلى مصر فى منفاه البعيد ، فيحدد أبعادها ، وكيف أن النيل هو واضع حدودها ، ومهندس جغرافيتها ، لكن الملاحظ أنك لا ترى الفرحة والبشر فى لغة شوقى رغم الصور الجميلة التى يرسمها للمكان ،إلا أنه يرى الجيزة حزينة ثكلى ، كمن ودعت عزيزا ولم تنفض بعض يديها من غبار القبر ، والسواقي أكثرت من ضجتها ، ولعل ذلك استجابة وتوافقا مع نفسيته القلقة فى منفاه (٢):

قَدَّها النيلُ فَاِستَحَت فَتَوارَت مِنهُ بِالجِسرِ بَينَ عُرىٍ وَلُبسِ
لَبِسَت بِالأَصيلِ حُلَّةَ وَشيٍ بَينَ صَنعاءَ في الثِيابِ وَقَسِّ
وَأَرى النيلَ كَالعَقيقِ بَوادي هِ وَإِن كانَ كَوثَرَ المُتَحَسّي
اِبنُ ماءِ السَماءِ ذو المَوكِبِ الفَخمِ الَّذي يَحسُرُ العُيونَ وَيُخسي

---

(١) الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ص١٤٠

(٢) الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ص٤٤

لا تـــرى في رِكابِـــهِ غَـــيرَ مُـــثنٍ ∴ بِخَميـــلٍ وَشَـــاكِرٍ فَضـــلَ عُـــرسِ
وَأرى الجيـــزَةَ الحَزينَـــةَ ثَكلـــى ∴ لَـــم تُفِـــق بَعـــدُ مِـــن مَناحَـــةِ رَمســـي
أَكثَـــرَت ضَـــجَّةَ السَـــواقي عَلَيـــهِ ∴ وَسُـــؤالَ اليَـــراعِ عَنـــهُ بِهَمـــسِ
وَقِيـــامَ النَخيـــلِ ضَـــمَّرنَ شِـــعراً ∴ وَتَجَـــرَّدنَ غَـــيرَ طَـــوقٍ وَسَـــلسِ

والمفردة توشحت بسياق الفضة والمرمر ، وأخذت خلود الكوثر ومكانته.

ثانيا : لوحة(النيل): عند محمود حسن إسماعيل(١) :

للنيل دور مهم فى تكوين الخصوصية التي تميز بهـا الشـاعر محمود حسن إسماعيل ، فالنيل بالنسبة له الشيخ الحكيم ، والصاحب والدليل ، وهو الخصوبة والعطاء ، و الخص والقـارب والسـاقية ،

---

(١)،ولد محمود حسن أسماعيل عام١٩١٠فى قرية النخيلة أبـو تـيج أسيوط تخرج من كلية دار العلوم ١٩٣٦م أثرى شاعرنا المكتبـة العربية بأربعة عشر ديوانا تحمل عبير حياته وعمق تجربته التـى عايش من خلالها تجربة الأمة العربية حتى توفاه الله مغتربا عـن تراب أرضه مصرعام١٩٧٧م وعاد ليدفن جثمانه بارض الكنانـة الدواوين الشعرية: أغانى الكوخ ــ هكذا أغنى ــ أين المفر ــ نار وأصفاد ــ قاب قوسين ــ لابـد ــ التائهون ــ هدير البـرزخ ــ صلاة ورفض ــ السلام الذى أعـرف ــ نهـر الحـقيـقة ــ صوت من الله ــ موسيقا من السر ــ ريـاح المغيـب * أختيـر عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب منذ تكوينهـا ـــ وعضوا بلجنة النشر والدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى أيضا عمل بمجمع اللغة العربية محررا قبل ألتحاقـه للعمـل بالأذاعـة المصرية عام ١٩٤٤م حيث تدرج بالعمل على الثقافة بالأذاعةحتى عين مستشارا وحقق قامة متوازنة أبداعيا وعلميا ليصـبح أسـما وعلما عالما ومزا من رموز مصر نال جائزة الدولة فى الشعر عام ١٩٦٤م عن ديوانه (قاب قوسين) .

وهو الشقاء والحصاد ، وهو الخلان والصحبة ، ولا يستغرب هـذا من شاعر ارتبط بالنيل منذ نعومة الأظفار يتحدث عن نشأته قائلا :

(عشت في قريتنا السنوات الأولى، ولم أكن في معظم الوقـت مع أهلي في الكوخ بل كنت أعيش في الغيط على مشارف نهر النيل جنوب (أبوتيج) أشارك في العمل، أعزق الأرض، وأبذر الحب، أتابع البذرة منذ غرستها حتى الحصاد وتعلمت في الخص ودرسـت فيـه وتقدمت إلى امتحان شهادة البكالوريا من الخارج، .. (١).

فأنت تدرك لأول وهلة دون عناء عند مطالعة نتاجه الأدبي مدى ارتباطه بالنهر، ابتداء من عناوين قصائده (أغنية النيل) أو قصـيدة (مع النهر) أو قصيدة (النيل نعسان) أو من تسمية ديوانـه (نهـر الحقيقة) ، من ديوانه الأول (أغانى الكوخ) وأنت تسـمع عويـل السواقي تولول حسرة على إنسان الكوخ ، مـن إطـراق الوجـوه الطيبة التي طحنها الفقر والقهر ، فألفت الحرمان ، من رحلة الظلم الممتدة على كاهل الفلاح القانت ، فتجرع الرق وقنع بالهوان، ومن أعماق ليل الشجن الذي أخنى على صدر القرية ولا تملك معه غيـر الصبر. فقد صاحب النيل وأحبه ، فكان شيطانه وملهمه(٢):

يسـمونه النيـل وهـو نـدى ∴ ينيـل ويشـفى صـدى الظـامئين

سـقى الـدهر مـن جـاءه فـارتوى ∴ وروى بخمرتـه الملـهمين

معنى بأسراره الشاعر
وكبر فى شطه الكافر
وخر له السحر والساحر

---

(١) التصوير الفنى فى شعر محمود حسن إسماعيل : محاولات للتذوق الفنى /د أنس داود ص١٧

(٢) ديوان أين المفر ط مكتبة الأمل / الكويت /أولى ١٩٤٧ ص٥٧

ولما تمادت عليه الصبا ∴ تصابى فحيا خطا العاشقين

وأولى هذه اللوحات النيلية نلتقى بها من خلال قصيدته (النيل) كما ورد اسمها بالطبعة التى بين أيدينا والمعروفة فى الوسط الفنى ب(النهر الخالد)(١) وأتصور أن الصورة التى أراد الشاعر أن يقدمها للنيل ، هى من خلال رمزي الوجود والخلود ، فهو مسافر من الأبدية يحمل السحر والعطر والجمال، وبين يديه الحب والفن، ودليله، شابت على أرضه الليالي، وضيعت عمرها الجبال، ولازال يسجل أثاره فى الأرض والديار التى يمر بها، فيسجل فيا تجاربه ، ويأتمنها على أسراره، وهو واهب الخلد للزمان، وهو ملهم الفن والإبداع وهو صاحب السر الرهيب، والشاعر بين جنبيه هيام العاشق ، العشق الذى يهفو إلى الامتزاج به، والاختلاط بجوهره، ويغترف من أسراه، عله يقود سفينة الحيارى وينير طريق الضالين، ويمتزج معه بخياله ، فيشترك مع الطبيعة فى حوارها، ويشر من خمرته المعتقة، وهو فى سكره وهيامه لا يريد أن يفيق، والقصيدة لوحة مصرية رسم فيها الشاعر صورة للنهر المعجب بجلاله المأخوذ بجماله، وهو يحمل بين جنبيه خصائص المصرية، والفن والجمال عنصراها، والسحر والخيال أثرها، وظف الشاعر القصيدة لتقديم التراث غير المرئى للمصرية التى أذهلت القرون، وشيبت السنين من دون أن تفض بكارة كنهها، والقصيدة بعد سيمفونية جميلة ، تتماوج مع أمواج النيل حالة صفائه وهدوئه ، فترق ولا تموت ، وتتهادى فى خطوات بين المشى والرقص.

مسافر زاده الخيالُ ∴ والسحر والعطر والظلال
ظمآن والكأس في يديه ∴ والحب والفن والجمال
شابت على أرضه الليالي ∴ وضيعت عمرها الجبال

---

(١) ديوان أين المفر ، المصدر السابق ، ص٧٨ وما بعدها

ولـــم يـــزل ينشـــد الـــديارا ∴ ويســـأل الليـــل و النهـــارا
و الناس في حبه سكارى
هامـــوا علـــى أفقـــه الرحيـــب ∴ آه علـــى ســـرك الـــرهيـــب
و موجـك التائـــه الغـــريـــب ∴ يـــا نيـــل يـــا ســـاحر الغيـــوب
يـــا واهـــب الخلـــد للزمـــان ∴ يـــا ساقـــي الحـــب و الاغانـــي
هـــات اسقنـــي ودعنـــي ∴ أهـــيم كالطيـــر في الجنـــان
يـــا ليتنـــي موجـــة فـــأحكي ∴ إلى ليـــاليـــك مـــا شجانـــي
و أغـتـدي للـــرياح جـــارا
و أحمـــل النـــور للحيـــارى
فإن كوانـي الهوى وطـارا
كانـت ريـــاح الـــدجى نصـيبي ∴ آه علـــى ســـرك الرهيـــب
وموجـــك التائـــه الرهيـــب ∴ يـــا نيـــل يـــا ســـاحر الغيـــوب
سمعـــت في شـــطك الجميـــل ∴ مـــا قالـــت الريـــح للنخيـــل
يسبـــح الطيـــر أم يغنـــي ∴ ويشـــرح الحـــب للخميـــل
و أغصـــن تلـــك أم صبايـــا ∴ شربـــن مـــن خمـــرة الأصيـــل
و زورق بـالحنيـــن ســـارا
أم هذه فرحـة العـــذارى
تَجـري و تجُـري هواك نـارا
حملـت مـن سـحرها نصيبـي ∴ أه علـــى ســـرك الرهيـــب
ومـــوجك التـــائه الغـريـــب ∴ يـــا نيـــل يـــا ســـاحر الغيـــوب

أما اللوحة الثانية (فاتنتى مع النهر) (١)٠

والقصيدة ليست حديثا مباشرا عن النهر، ولكنه جعله المعـادل للشاعر، وجعل العزراء معادلا لنفس الشاعر التائهة المحبطة ، وأدار الحوار بينهما ليسقط من خلاله ألامه وأحزانـه ، فالشـعر مغتـرب تحمل أقدامه (شجون أزمان ، وبلوى سنين) ، ويحمـل لـه عنـده

(١) من ديوان / قاب قوسين ط أولى : دار العروبـة ص١٥٨ ومـا بعدها

(أسمار دمع، ومغانى أنين) فهو يمضى فى طريقه متخاذلا (أنغامه مرتعشات الصدى)، واقلبه(مفجوع التغنى حزين) كيف لا (لم تترك له الدنيا فرحة)تحركه الرياح الهوج فى لجة الدنيا ، يترقب المستقبل ، ويخشى يقظة المنجل .

مرت على النهر فقالت له ∴ وموجه فى خشعة الساجد
يانهر قاسمنى الهوى مرة ∴ وهات أخبارك عن عابدى
يانهر أسمعنى حديث الهوى ∴ وهات عن بلبلى الشادى
فغمغم النهر .. وقامت لها ∴ أمواجه تلقى صلاة الحنين
والشمس فوق الشط غربية ∴ صفراء كالشك بوجه اليقين
وقال ياعذراء ، عندى له ∴ أسمار دمع ، ومغانى أنين
كم مر بى تحمل أقدامه ∴ شجون أزمان ، وبلوى سنين
أنغامه مرتعشات الصدى ∴ والناى مفجوع التغنى حزين
لم تترك له الدنيا فرحة ∴ يتركها موجى للعاشقين
سألته يابن الأسى رحمة ∴ فالنوح لايطرب سمع الصباح
مالك لا تلهم غير الأسى ∴ ولاتغنى غير نار الجراح
فقال يوما ستلاقى هنا ∴ عذراء من حور السماء الملاح
أنت التى أسلمته زورقا ∴ فى لجة الدنيا لهوج الرياح
فاتنتى سر الهوى سابح ∴ فى نور عينيك فلا تسألى
فى زهرة المرج شذى نائم ∴ أخشى عليه يقظة المنجل

وعلى الر غم ما يبدو من أن القصيدة لم يتوجه بها للحديث عن النيل إلا أن جعله النهر معادلا له، فوق ما يحمل من رمزية للقصيدة، إنما يكشف عن هوى الشاعر الخاص وتعلقه بالنهر، والتحامه به التحاما عضويا ..

أما اللوحة الثالثة: (النيل نعسان) من ديوانه(قاب قوسين)(١)

---

(١) من ديوان / قاب قوسين ط أولى : دار العروبة ص١٧٦ وما بعدها

والقصيدة لوحة نيلية خالصة ، ترصد صورة النجوم فى الليـــل وقد بدت على صفحة مائه فوق الأمواج المتراقصة ، كطير تحســو من الماء وترشف ، أما النيل بدا فى هدوئه كالنائم الذى ألقى برأسه فى راحة المحبوب ، ثم هو عابد متبتل ، فى حالـــة مـــن الوجـــد ، خشوع وتسبيح ، وتلاوة ومجاهدة ، فأين الحقيقة أيهـــا المتبتـــل ، ليستلهمها شاعرنا ، وقد توحدت فى محـــراب التجريـــد، فاســـتجلى الحقيقة ، واكشف لى أسرارها .

ذهبت له والأنجم البيض حوم
على خمرة كالطير تحسو وترشف
لها رعشة مسحورة فى عبابه
وهمس حديث فى الحنايا مرفرف
صبته الرؤى فانساب نعسان مثلما
على راحة المحبوب هوم مدنف
وتمتم كالجبار ميله الكرى
وفى قمة ذكرى البطولات تهتف
عتى يهاب الدهر حرمة ساحه
ويفزع إعصار الزمان المطوف
فكيف تغاشاه الكرى وسجا به
وسجاه فى الأحلام سر مغلف
خشوع وتسبيح وطهر كأنه
بكف الليالى أو بكفى مصحف
وصومت على الشطان أسمع خلفه
صدى الأبد المكتوم للروح يعزف
ودنيا أغان فى الضفاف نشدتها
فعدت وأوتارى من الوجد تنزف
فيا نيل كاشفنى الحقيقة واسقنى

من الغيب سلوانى ‘ذاكنت تعرف

أما اللوحة الأخيرة التى نقف فيها مع الشاعر، فهى قصيدة (مع النهر)(١)٠

النيل باعث الحياة فى سكونه وهدأته ، وفى صحوه ويقظته ، ويمضى الشاعر راسما لهذه اللوحة، فهو النشوان فى الأفق النعسان ،أقدامه وضوء ، وأمواجه سجادة للطهر والعبادة ، ويمضى فى وصف الزوارق والطيور ، والزهر والطير والليل والفجر والأمل ، فى تشكيلات موسيقية حرة ، وقد طوع الشاعر الشكل الموسيقي لحركته النفسية والوجدانية، تخف حدة الإيقاع ، وجهارة العبارة ،وتعمر بالألفاظ الشفافة المجنحة ذات الدلالات الروحية أو النفسية، وتعمد إلى التجسيم ، وتبدو سيطرة االمعانى الروحية على القصيدة ...

سكونه حياة .. ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة
حين تنام الريح
والموج يستريح
تخاله نشوان فى أفقه النعسان
أقدامه وضوء
للصمت والهدوء
يمر بالحياة وموجه مرآة
أمواجه سجادة
للطهر والعبادة
تجثو بها الطيور وتمرح العطور
وتصبح الزوارق

---

(١) من ديوان (نهر الحقيقة) ط الهيئة المصرية للكتاب / أولى ص١١٦ وما بعدها

كأنه حدائق
مسحورة الأغصان فى ربوة النسيان
كل رؤاه حب
ومعبد ورب
وكل ما فى شطه حياة وخطوة تحرك الحياة
لولاه زهر الحقل ما تبسم
لولاه طير الأرض ما ترنم
فى صدره الأسرار عتية الأستار
لا الريح تدرى أمرها ولا النجوم تعرف
سفائن ولهانة وعاشق مطوف
وصائد أيامه فى خيطه معلقة
يلقى الشباك مؤمنا مؤملا أن ترزقه
والليل حول طرفه
للصبر مد طرفه
أوما وظل سادنا يراقب الغيوبا
كأنه مدله ينتظر الحبيبا
وفجأة
صافحه الفجر
والأمل الموعود ، والنهر
فعاد للكوخ بحمد الله
والحب والإيمان والحياة
سكونه حياة ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة

لعلنا حين نعرض على الإجمال ،للسياقات التى استخدم محمود حسن إسماعيل من خلالها المفردة ، سنجد كثيرا نها تبدو غير جديدة، فهو قد تحدث عن مياهه ومنابعه ومصابه وروافده ، وتناول

الحضارة التى قامت على شاطئيه وتقديس القدماء لـــه ، وإحســاس الجميع بفضله ، وبخيره العميم ، لكننا سنجد له خصوصــية تميــز تناوله ، والبصمة الخاصة له ، التى تــدركها الذائقــة الأدبيــة ولا تتخطاها ، عندما تلتقى مع هذا النتاج الأدبــى المطبــوع ، لشــاعر خشونة الحياة أكسبته البساطة ، وقسوة العيش ولدت فى نفسه رقة ، وفضاء الحياة من حوله علمه التأمل ، وسنوات الحزن المتواصــل حفرت فىنفسه أخدودا ، يمخره ليسبر أغوار الحياة ، جلــده علــى الصبر ، ووسمه بالسكون والحياء ، وأفضى به إلى العمق ، فأفصح عما يشعر به فى تجليات أدبية تجده فيها راهبــا متبــتلا ، وريفيــا بسيطا، وحادا فيه رقة ، وجافا فيه حنان ، وهو ينتسب الى الحركــة الرومانسية ، لكن الرومانسية عند محمود حســن اســماعيل كانــت تتسم برؤية جديدة في الشعر العربي وأسلوب جديد رامز يملك القدرة على الكشف والتنوير ويمتلك ذخيرة لغوية كبيرة تمثلت فيها الرصانة الحديثة في أسلوبه ، وقد استطاع أن يوفق بين الحركة التي تموج بها النفس (الذات) والحركة التي تموج بهــا الأشــياء (الموضــوع) فجاءت المفردة في بنائها وفي علاقتها بالصورة تحمــل قــدرا مــن الموسيقى أمكن توظيفه في هذه النقلة في موسيقى الشعر من خلال البحور الطويلة المركبة التي سيطر فيها على لغته وإحساسه فجــاء شعره رقيقاً هامساً.

ثالثا : لوحة(النيل) من أقاصى الجنوب

عند التيجاني يوسف بشير(١)

---

(١)أحمد التجاني بن يوسف بن بشير بن الإمام جزري الكتيابي١٣٢٨ – ١٣٥٦ هـ / ١٩١٠ – ١٩٣٦ م

شاعر، متصوف من السودان ولد فــي أم درمــان ١٩١٠م لقــب بالتجاني تيمناً بشيخ المتصوفة الإمام التيجاني، حفظ القرآن والتحق

لوحة نيلية لشاعر من أقصى جنوب الوادى ، ترى مـــا الـــذى يمثله النيل بالنسبة إليه ؟

النيل القداسة والخلد ، والجمال والجلال ، فنحن أمام رؤية فـــى حضرة النيل متكررة ، التقى فيها شعر شمال وادى النيل مع جنوبه ، فالنبل سليل الفراديس ، حضنته الملائك فى جنة الخلد ، بـــين يديـــه التاريخ، متوثب صاعد فى مراقى المستقبل ، ملء وفاضه الجـــلال، حكيم معلم ، متبتل فى محراب نعمه ، لم نكفر بأنعمـــه ، أو نجحـــد ماضيه ، وهذه أغنية فى محراب النيل (١):

أنت يا نيل يا سليل الفراديس
نبيل.. موفق.. فى مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى..
بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الأملاك فى جنة الخلد
ورقّت على وضئ عبابك
وأمدّت عليك أجنحة خضرا
وأضفت ثيابها فى رحابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغت..
على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفى..
كفيك تاريخه وتحت ثيابك

بالمعهد العلمي في أم درمان ودرس الأدب والفلسفة والتصـــوف. عاش فترة قصيرة إلا أنه لفت الأنظار، فاهتمـــت بـــه الصـــحف والمجلات وخاصة مجلة (أبولو).صدر له ديوان واحد بعد وفاتـــه وهو (إشراقة) الذي يعد نموذجا للشعر لرومانسي. عمل صـــحفياً وساهم في تحرير صحيفة (ملتقى النهرين)، ومجلتي (أم درمـــان، والفجر). توفي بذات الصدد ودفن بمدينة أم درمان ، مختارات من الشعر العربى فى القرن العشرين ج٤ ، مؤسسة البابطين ، الكويت ٢٠٠١ ص١٤ وما بعدها.

(١) ديوان «إشراقة» التجاني يوسف بشـــير – المطبعـــة الوطنيـــة بالخرطوم – (ط٢) – ١٩٤٩م،

مخرتك القرون تشمّر عن ساق..
بعيد الخطى قوى السنابك
يتوثبن فى الضفاف خفافا..
ثم يركضن فى ممر شعابك
عجب أنت صاعدا فى مراقيك..
لعمرى أو ساقطا فى أنصابك
مجتلى قوّة ومسرح أفكار..
ومجلى عجيبة كل ما بك
كم نبيل بمجد ماضيك مأخوذ..
وكم ساجد على أعتابك
سجّدا ذاهلين لا روعة التاج..
ولا زهو إمرة خلف بابك
أيها النيل فى القلوب سلام..
الخلد وقف على نضير شبابك
أنت مسلك الدماء وفى..
الأنفاس تجرى مدويا فى انسيابك

إن نسبنا إليك فى عزة الواثق..
راضين وفرة من نصابك
أو عبدنا فيك الجلال فلم..
نقض حق الزياد فى محرابك

وأبيات القصيدة السابقة تكشف عن شاعر صوفي النزعة، فسلك بالمفردة مسلكا أحاطها بسياقات صوفية، (الفراديس والوفاض والجلال والأملاك فى جنة الخلد والأجنحة الخضراء ، والقلوب سكرى ، وعز الواثق ، وعبدنا الجلال) والموسيقى الهادئة الوقورة المهيبة التى جاءت على بحر الخفيف ، مع نغم داخلى احتفظ للموسيقى الشعرية فى القصيدة بجلالها ، وكأن السياق النفسى تجاوز الدلالات اللغوية إلى الدلالة النغمية ، فتشربت الدلالة النغمية من الجلال والجمال والخلود، فتساوقت وتعانقت الدلالة بالدلالة والسياق بالسياق فى لوحة فنية تعبر عن أصالة تعبير، وعمق انتماء للنهر .

وهكذا رأينا كيف تطورت سياقات دلالة مفردة النيل عبر مسيرة الشعر العربى ، لنكشف عن معطيات الدلالة ، وكيف تتكون عبر التاريخ والمجتمع والتأثر والارتباط النفسى لتضيف كل هذه المعطيات للتعامل مع المفردة رصيدا دلاليا يعين على تنويع السياق.

واللـــــــــــــه أســـــــــــــأل أن يلهمنا الصواب

الخاتمة

وبعد

فقد انتهيت من تناول أطروحة (الدلالة بين المعطيات والسياق، مفردة النيل فى الشعر العربى نموذجا) وقد قمت بالتأصيل النظرى لفكرة الأطروحة ، ثم عمدت إلى قراءة متأنية للنصوص الشعرية عبر خريطة الشعر العربى بكامله ، ووقفت عند الابعاد الدلالية لمفردة النيل في الشعر العربي ، محولا استكناه أبعاد الدلالة ومعطياتها ، والكشف عن تجليات سياقاتها التعبيرية فى نتاج الشعراء ، ومحاولة الكشف عما وراء لغة الشعر من مقاصد ومضامين ، وهى فى محاولة ذلك ؛ لم تلو عنق النص أو تدخله دائرة الأطروحة قسرا ، كما أنها وضعت خريطة للمفردة على عصور الشعر العربى من خلال التتبع والاستقراء ، ومع ذلك فان كل قراءة نصية هي مشروع قراءة متجددة . اذ النص الشعري بحاجة دوما للاستنطاق والتأمل . وقد توصلت الدراسة إلى مايلى

- مباحث الدلالة أصيلة فى الفكر العربى ، لا ينبغى أن ننبهر بالصورة التى قدمها الغرب للدلالة ، غافلين عما بين أيدينا من تراث زاخر، وكنوز ثرة
- قدمت الدراسة تأصيلا لمفهوم الدلالة فى الفكر العربى الإسلامى بتنوعه وثرائه
- قدمت رؤية تطبيقية ، لما أصلت له من خلال المفردة المختارة للدراسة ، وتحليلها ، والكشف عن التطور الدلالى لها
- لم تتقفع الدراسة منبهرة بتراثنا بل انفتحت على الرؤى الأخرى لدراسة الدلالة حتى يستبين عن حق القيمة الحقيقية لما قدمه أسلافنا فى هذا المجال .

وبعد هذه الإطلالة التى حاولت أن تقدم رؤية على قدر ما أسعفت به القريحة ، وهى إن بدت ضعيفة ، أو شابها القصور فى زوايا تركتها أو منافذ جهلتها ، فيكفيها شرف المحاولة ، والكمال كله لله ، وكما يقولون مالا يدرك كله لايترك كله ، وحسبى أننى حاولت إدراك جله ، وأخيرا ‘فإن كنت وفقت فما توفيقى إلا بالله ، وإلا فحسبى أننى حاولت ، وعلى الله قصد السبيل .

ثبت بمصادر ومراجع الدراسة

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : الحديث النبوى

١- الجامع الصحيح ، البخارى ،تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، لطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ

٢- صحيح مسلم ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

ثالثا : المصادر والمراجع

٣- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدي الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٤

٤- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن : تحقيق : د. سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت ـ الطبعة الأولى ، ١٤٠٤

٥- الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى الفاطميين ، عبد الرازق حميدة. مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١..

٦- أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر: دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٧- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق:محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،(د.ط)،١٤٠٤هـ١٩٨٤م ص٣.الدلائل،ص٨٠.

٨- الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠

٩- الأغاني /الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية

١٠- الألسنية، علم اللغة الحديث ، ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط٢، ١٩٨٣.

١١- الأمالي - السيد المرتضى - صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه) حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي الطبعة الأولى) (سنة ١٣٢٥ هو ١٩٠٧ م)

١٢- البحر المحيط فى أصول الفقه ،الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (ت ٧٩٤ هـ) ، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١٤٠٩ ه، ١٩٨٨ م

١٣- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، تحقيق سهيل زكار / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

١٤- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى بمصر. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

١٥- تاج العروس في شرح القاموس ، الزبيدي، أبو الفيض محمد بن المرتضى (ت ١٢٠٥ ه) ط ، دار ليبيا، ١٩٦٦ م

١٦- تاريخ الإسلام - الذهبي - تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤١٠ - ١٩٩٠.

١٧- تجارب نقدية وقضايا أدبية : محمد إبراهيم أبوسنة .سلسلة إقرأ يناير سنة ١٩٨٦م ص ١٣٧

١٨- تحرير القواعد المنطقية ، محمود بن محمد الرازي ، (ت٧٧٦هـ) ، ط ١، المسينة ، مصر،١٣٠٧

١٩- التصوير الفنى فى شعر محمود حسن إسماعيل / محـــاولات للتذوق الفنى د/أنس داود ــ هجر للطباعة والنشر - القـــاهرة ١٩٨٦.

٢٠- تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق : محمد عـــوض مرعـــب ، دار إحياء التراث العربي ، ، الطبعة : الأولى بيروت - ٢٠٠١م

٢١- جمهرة اللغة: ابن دريد - (محمد بن الحسن الأزدي ت ٣٢١ هـــ) بيروت (د- ط) دار صادر، ط: ١، ١٣٤٥ هـــ ،ج٣

٢٢- حاشية على التذهيب في شرح التهذيب، الشيخ محمد بن علي سعيد ، ط ، الأزهرية ، مصر، ١٣٤٦ ه. وغيرها

٢٣- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة : السيوطي،تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٧ - ١٩٦٧ الطبعة الأولى

٢٤- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بـــن بحـــر الجـــاحظ ، تحقيـــق عبدالسلام محمد هارون ، الناشر دار الجيل ، لبنان/ بيـــروت. ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م

٢٥- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني الكاتب ، تحقيق: محمد بهجة الأثري ، المجمع العراقي ، وزارة الإعـــلام العراقية .

٢٦- خزانة الأدب / البغدادي ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٩٨م

٢٧- الخصائص : ابن جنـــي ابـــو الفـــتح عثمـــان بـــن جنـــي (ت٣٩٣هـــ) ، تحقيق:محمد علي النجار ، عالم الكتب بيروت

٢٨- دراسات نقدية . مصطفى عبد اللطيف السحرتى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٦٣

٢٩- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ ١٤١٢هـ-١٩٩١م

٣٠- دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة /١٩٨٤

٣١- الدلالة الإيحائية فى الصيغة الإفرادية ، صفية مطهري ، من منشورات اتحاد الكتاب العربدمشق - ٢٠٠٣ ٣١.دواوين إبراهيم ناجى / الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت لبنان ١٩٧٣

٣٢- دور الكلمة في اللغة ،-ستيفن أولمن ، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب ١٩٨٨.

٣٣- ديوان ابن الرومى/ شرح:أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

٣٤- ديوان ابن قلاقس ،مراجعة / خليل مطران ، مطبعة الجوائب ١٣٢٣/١٩٠٥

٣٥- ديوان ابن نباتة المصري ، طبع مطبعة عابدين بمصر، الطبعة الأولى ، ١٣٢٣/ ١٩٠٥.

٣٦- . ديوان أبى نواس ، شرح غريبه / محمود أفندى واصف ،طبع المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨م ، ديوان أبى نُوّاس طبعة ــ دار الكتاب العربى ــلبنان.

٣٧- ديوان أحمد محرم / تحقيق محمود أحمد محرم / دار الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠١/١٤٨٤

٣٨- ديوان إسماعيل صبرى /شرح / أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/١٣٥٧ه /١٩٣٨م

٣٩- ديوان «إشراقة» التجاني يوسف بشير - المطبعة الوطنية بالخرطوم - (ط٢) - ١٩٤٩م،

٤٠- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، تحقيق محمد محمد حسن، ا لمطبعة النموذجية. لقاهرة ١٩٥٠

٤١- ديوان أغانى الكوخ ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧.

٤٢- ديوان أين المفر ط مكتبة الأمل / الكويت /أولى ١٩٤٧

٤٣- ديوان البارودى ، تحقيق الجارم ، وشفيق . ج١ ص٢١٧ . دار الكتب المصرية / ١٩٤٠ م .

٤٤- ديوان البحترى ، مطبعة هندية بالموسكى ، الطبعة الأولى ١٣٢٩/١٩١١ ،

٤٥- ديوان بهاء الدين زهير ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٠

٤٦- ديوان تذكار الصبا - نجيب الحداد ، مطبعة جريدة البصير - الإسكندرية ١٨٩٩

٤٧- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، تقديم / إبراهيم الدسوقى جاد الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ ، سلسلة الذخائر ٨٤

٤٨- ديوان حافظ إبراهيم ، أحمد أمين وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧

٤٩- ديوان الخليل / دار مارون عبود ، بروت١٩٧٧ ،

٥٠- ديوان الشبراوي ، نسخة مصورة عن مخطوط الديوان بغير تحقيق

٥١- ديوان صلاة ورفض/ محمود حسن إسماعيل ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠

٥٢- ديوان قاب قوسين / محمود حسن إسماعيل ، ط أولى : دار العروبة

٥٣- ديوان الكاشف /، دراسة وتحقيق / محمد إبراهيم الجيوشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧

٥٤- ديوان كثير عزة ، جمع وشرح / إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧١م

٥٥- ديوان (نهر الحقيقة) / محمود حسن إسماعيل ، ط الهيئة المصرية للكتاب / أولى

٥٦- الرسالة ــ الشافعى ، ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد، بدون تاريخ الطبعة.

٥٧- سقط الزند / أبو العلاء المعرى ،دار بيروت ، ودار صادر ١٩٥٧/١٣٧٦

٥٨- شرح التهذيب، الشيخ محمد بن علي سعيد ، ط ، الأزهرية ، مصر، ١٣٤٦ ه

٥٩- شرح المفصل : ابن يعيش النحوي ، يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ) عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي (د.ت)

٦٠- شرح ديوان أبى تمام / الخطيب التبريزى / دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤/ ١٩٩٤

٦١- شرح ديوان الفرزدق، إليا حاوى ،دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ١٩٨٣

٦٢- شرح ديوان المتنبى / دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٩م.

٦٣- شرح ديوان المتنبى للمعرى المعروف بمعجز أحمد ، تحقيق ودراسة / عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط٢ ١٤١٣/ ١٩٩٢

٦٤- شرح ديوان جرير/ محمد اسماعيل عبد الله الصاوى / المكتبة التجارية الكبرى القاهرة بدون تاريخ

٦٥- شرح كتاب أبي نصر الفارابي الموسوم بالألفاظ المستعملة في المنطق / شرح / لطفي خيرالله

٦٦- شعر الأحوص الأنصارى ، جمع وتحقيق / عادل سليمان جمال ، تقديم / شوقى ضيف ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط ١٤١١هـ ،١٩٩٠ م

٦٧- شعر الطبيعة فى الأدب العربى ، د/ سيد نوفل ، القاهرة – ١٩٤٥م

٦٨- شعر الطبيعة فى الأدب المصرى فى القرن الرابع الهجرى : عوض على الغباوى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

٦٩- شعر مروان بن ابى حفصة ، جمع وتحقيق / حسين عطوان ، دار المعارف الطبعة الثالثة ، سلسلة ذخائر العرب رقم ٤٩

٧٠- شعر نصيب بن رباح ، جمع وتقديم د/ داود سلوم /مطبعة الإرشاد ،

٧١- الشوقيات الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / لبنان بغداد ١٩٦٧

٧٢- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ،١٩١٠.م

٧٣- العلامة في النحو العربي : د. محمود سليمان ياقوت ،ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩م

٧٤- علم الدلالة ، أحمد مختار ، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت،ط ١٤٠٢ ه - ١٩٨٢ م.

٧٥- علم الدلالة:أف.أر بالمر: ترجمة :مجيد الماشطة ،كلية الاداب الجامعة المستنصرية ، بغداد، ١٩٨٥ م

٧٦- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر بيوت ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ /١٩٩٦م

٧٧- علم الدلالة ، بيار جيرو، ترجمة د. منذر عياشي، دار طلاس، دمشق ط١ ١٩٨٨.

٧٨- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٥ م

٧٩- علم الدلالة عند العرب ، عادل الفاخوري ، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٨٠- علم الدلالة ، مختار عمر، مكتبة دار الأمان ، ط : ١٩٨٨م ،

٨١- علم اللغة / محمود السعران، دار المعارف مصر، ١٩٦٢م.

٨٢- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت ، بدون تاريخ ،

٨٣- كتاب التعريفات /على بن محمد الشريف الجرجانى /مكتبة لبنان / بيروت ، طبعة ١٩٨٥، ص ١٠٩

٨٤- كتاب العين / الخليل بن احمد الفراهيدى ، تحقيق مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى ، وزارة الثقافة والاعلام / بغداد.

٨٥- الكتاب لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،لطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص٢٥٥.

٨٦- كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م

٨٧- كلوردج، محمد مصطفى بدوي، ، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧.ص٩٧.

٨٨- لسان العرب ، ابن منظور،دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، مادة (دلل) ج١١ ص ٢٤٧.

٨٩- اللسانيات وأسسها المعرفية ، د. عبدالسلام المسدي ، المطبعة العربية ، تونس ط، ١٩٨٦ .

٩٠- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان عمر ، عالم الكتب ،الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٩١- اللمع في أصول الفقه، ط ١، الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ ه، ١٩٨٥

٩٢- المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء / الآمدي /تحقيق : ف. كرنكو الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م

٩٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥

٩٤- مجموع أشعار العرب فيه ، ديوان رؤبة ، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسى ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، بدون تاريخ

٩٥- مختارات من الشعر العربى فى القرن العشرين ج٤ ، مؤسسة البابطين ، الكويت ٢٠٠١

٩٦- مدخل إلى علم الدلالة الألسني . موريس أبو ناصر ، الفكر العربي المعاصر ، ١٩٨٢

٩٧- المستصفي من علم الأصول – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. دار العلوم الحديثة ، بيروت. د.ت

٩٨- مصارع العشاق ، تأليف: ابي محمد السراج القارئ ، الناشر: دار صادر

٩٩- المعتمد فى أصول الفقه، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ)،ط، دار الكتب العلمية، بيرو ت

١٠٠-معجم البلدان – ياقوت الحموي ، دار الفكر – بيروت

١٠١-معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، ت: عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٢-مقدمة كتاب الدلالة الإيحائية فى الصيغة الإفرادية ، صفية مطهري ، من منشورات اتحاد الكتاب دمشق – ٢٠٠٣.

١٠٣-مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، سامى على النشار ، دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

١٠٤-منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٦٦.ص١٨ .

١٠٥-منهج البحث اللغوى بين التراث وعلم اللغة الحديث ،على زوين ، دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦

١٠٦-موسوعة مصر القديمة ، سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠١م

١٠٧-النيل فى الأدب المصرى ــ د/ نعمات أحمد فؤاد القاهرة : دار المعارف. ١٩٦٢

١٠٨-يتيمة الدهر / الثعالبى / شرح وتحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية / بيروت لبنان

رابعا : الدوريات والسلاسل

١٠٩-تجارب نقدية وقضايا أدبية : محمد إبراهيم أبوسنة .سلسلة إقرأ يناير سنة ١٩٨٦م

١١٠-ا التحليل الدلالي للجملة العربية د . عبدالرحمن أيوب ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد /١٠م ٣/١٩٨٣

١١١-مجلة الفكرالعربي المعاصر ، آذار ، ١٩٨٢ م.

١١٢-مجلة المجلة . عدد(٨) ٧ أغسطس ١٩٥٧م

فهرس الدراسة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
الفصل الأول:مدخل نظرى:الدلالة بين المفهوم والسياق	
المبحث الأول: البعد التراثى للدلالة فى الفكرين العربى الإسلامى	
أولا : مفهوم الدلالة فى القرآن	
ثانيا : مفهوم الدلالة فى المعاجم العربية	
ثالثا: الدلالة بين الاصطلاح والمفهوم فى الفكر العربى	
المبحث الثانى : الدلالة عند المحدثين	
أولا : المفهوم	
ثانيا : المعطيات الدلالية	
المبحث الثالث : جدلية المعطيات والسياق	
الفصل الثانى : التطبيق (مفردة النيل فى الشعر العربى) نموذجا، توطئة: القيمة الدلالية للمفردة	
المبحث الأول (المفردة وسياق التركيب فى الشعر العربى القديم	
المبحث الثانى:تطور سياق المفردة فى الشعر المصرى	
أولا : بين الصنعة والعفوية	
ثانيا : الروح المصرية	
المبحث الثالث(سياق المفردة فى الشعر المصرى الحديث)	
المبحث الرابع : لوحلت نيلية من الشمال والجنوب	
خاتمة	
ثبت المصادر والمراجع	